القلم وما أوتي، في جيبوتي

بقلم

محمد ناصر العبودي


بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض -المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا : رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية - طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسة الرحلات البرازيلية - طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت، عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، من سلسلة الرحلات الكاريبية، مطبعة العلا في الرياض ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا، من سلسلة رحلات في بلاد البلقان، طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر في الرياض، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور - رحلات في جمهوريات الموز -، طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٢هـ.

(٨١) ((العودة إلى ما وراء النهر)) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في وكالة ياقوت للطباعة، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م..

(٨٢) ((على سقف العالم)) رحلة إلى التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة عام ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة ((جورجيا)).

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار، الرحلات الهندية.

(٨٦) وراء المشرقين، رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين.

(٨٧) القلم وما أوتي، في جيبوتي، وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٨٨) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٨٩) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٩٠) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٩١) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٩٢) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٩٣) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٩٤) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩٥) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩٦) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٠هـ.

(٩٧) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٨) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٩) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(١٠٠) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، ونشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(١٠١) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة.

(١٠٢) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٠٣) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(١٠٤) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(١٠٥) واجب المسلم في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(١٠٦) « العالم الإسلامي: واقع وتوقعات » نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها

(١٠٧) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته وكالة ياقوت

للطباعة، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٠٨) ((حِكَمُ العوام))، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٠٩) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبد العزيز في الرياض (تحت الطبع) في أربعة أجزاء.

(١١٠) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

تقديم

الحمد لله، والشكر له تعالى على ما أولانا من النعم، وحبانا من الكرم، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فإن هذه سفرة إلى بلد قريب، بل هو بلد شقيق، ولكنه مع قربه وأخوّته ظلت زيارته نائية عن الفكر والنظر، مع أنني كنت اعتزمت المرور به في رحلتين من رحلاتي في وسط إفريقية وشرقها، ألا وهو جيبوتي.

وحتى هذه المرة لم يكن الدافع إليها مجرد الرغبة في زيارته، أو وفق خطة وضعتها في الرابطة للاطلاع على الشؤون الإسلامية فيه، والتعرف على المؤسسات الإسلامية من المدارس والمساجد ودور العلم، من أجل معرفة ما تستطيع رابطة العالم الإسلامي التي أعمل فيها أن تقدم من مساعدات لها، ولكن زيارته من أجل الاطلاع والمشاركة في حدث وقع فيه، وهو عقد مؤتمر، بل مؤتمرات المصالحة بين الصوماليين الذين تمزقت بلادهم، وعمتها الفوضى، حتى صارت مضرب الأمثال في العالم للتمزق والاختلاف.

وكانت رابطة العالم الإسلامي قد اهتمت بهذا الأمر

اهتماماً عظيماَ، وتابعت الجهود المبذولة للخروج من حالة الفوضى في الصومال منذ وقت بعيد، غير أن رؤساء العصابات الذين يسمون أنفسهم قادة الفصائل الصومالية، لم يرق لهم أن يعود الصومال إلى الحالة الطبيعية، لأن هذا يحرمهم من امتيازات حصلوا عليها، ومن قيادة لجماعات متشرذمة من قبائل وفصائل، من قبائل يتزعمونها.

ولذلك لم يكن من الممكن السفر إلى الصومال لذلك الغرض النبيل الذي هو غرض الإسهام في عودته إلى الوئام والنظام، لأنه إذا أراد شعب أن ينتحر كان كالشخص الذي يريد الانتحار، لا يقف في وجهه إلا من يكون أقوى على منعه من إرادته في الانتحار، ولم يوجد من يكون كذلك بالنسبة للصومال، وبخاصة أن المسلمين بعامة، والعرب خاصة، قد أصيبوا بحالة من الشلل، وعدم المبالاة، إضافة إلى الوهن الذي هو حب الدنيا وكراهية الموت، فآثروا أن يسلموا من شرر قد يصيبهم من محاولة إطفاء الشرار الذي ينبعث من الصومال، تاركين أمر هذا الشعب المسلم النبيل لإرادة أولئك الذين لا تهمهم إلا مصالحهم الخاصة؛ معتمدين على أن النشاط الصومالي قد ماتت فيه روح النضال الجماعية في الخلاص مما هو فيه.

لأنه لو كان الشعب بأكثريته قد أجمع على نبذ أولئك الزعماء لكان الخلاص منهم سهلاً، أو على الأقل ليس بالغ الصعوبة، ولو كانت لدى الشعوب المسلمة، وفي مقدمتها الشعوب

العربية، الشجاعة والتصميم، وشيء من روح التضحية، لأرسلت جيشاً عرمرماً إلى الصومال، يأخذ على أيدي العابثين، وينضم إليه الصالحون من أبنائه. ولو كان في ذلك تضحية أو استشهاد أفراد من ذلك الجيش، فذلك أقل مما ينبغي أن يبذل لوحدة الصومال الشقيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذا ومن الغريب الذي لاحظته هو عدم نشاطي في تسجيل المشاهدات في جيبوتي، ما عدا الجولة في المدينة التي هي العاصمة، كما سيلاحظه القارئ الكريم، وذلك خلاف ما كنت أفعله منذ سنوات من تسجيل كل ما أشاهده إلى درجة الثرثرة والكلام على الملاحظات الصغيرة.

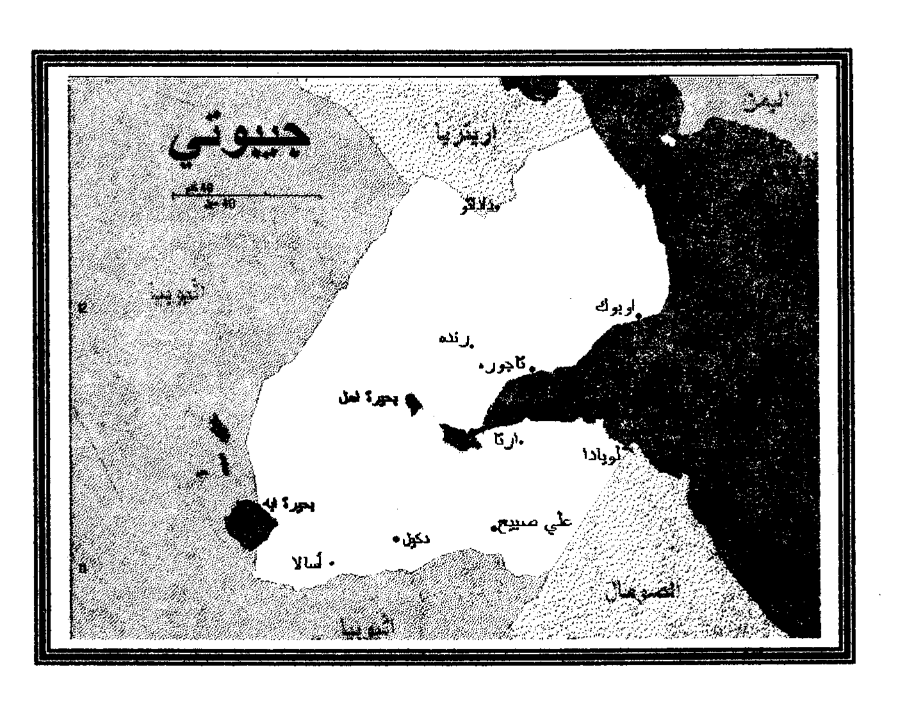
لذلك حعلت عنوان هذا الكتاب يدل عليه وهو (القلم وما أوتي، في جيبوتي).

إشارة إلى قلة ما دونته بالنسبة إلى ما كنت أدونه في أمثاله من قبل.

مكة المكرمة

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي


جيبوتي
اوبوك
رنده
تاجوره
بحيرة عسل
اركتا
لويادا
بحيرة ابه
علي صبيح
دكيل
أسالا

جيـــبوتي

أحوال جيبوتي

تاريخ جيبوتي:

لم تكن جيبوتي في الماضي البعيد وحدة سياسية بحدودها المعروفة في الوقت الحاضر، بل كانت في معظم تاريخها جزءاً من ساحل البحر الأحمر، أو من الهضبة الإفريقية التي تليه من جهة الغرب، وذلك منذ هجرات العرب الأوائل من السبئيين فيما يقول بعضهم، أي أهل سبأ، وبعضهم قال: إنهم من المعنيين الذين هاجروا إلى الهضبة التي تعرف الآن بقلب إثيوبيا، أو بلاد الحبشة الأصيلة، وأكسبوا البلاد اسمها الذي تعرف به (الحبشة) وهو ظل اسمها حتى عهد آخر إمبراطور من أباطرتها، وهو (هيلا سلاسي) الذي اختار الاسم اليوناني القديم (إثيوبيا) على الاسم العربي (الحبشة)، مع أن الاسم العربي مدلوله أشرف من مدلول الاسم اليوناني، فالحبشة تعني موطن الأحباش، والأحباش بالعربية هم الأخلاط، سموا بذلك لأن العرب الذين هاجروا إلى المنطقة قد اختلطوا بأهلها الحاميين من الكوشيين، فسموا الأحباش بمعنى الأخلاط، وكان في قريش (الأحابيش) بمعنى المختلطين.

أما (إثيوبيا) فمعناه: الوجه المحترق بالشمس، وترجمه من يحب الاختصار بأنه (الأسود).

وكانت جيبوتي جزءاً مما كان يسمى في الكتب العربية التي ألفت في القرون الوسيطة بالطراز الإسلامي الذي يمتد من

نحو مدينة بربرة في الصومال حتى مدينة سواكن في السودان.

وقد سُمّي (الطراز الإسلامي) لأنه بلاد مسلمة تمتد على سواحل البحر الأحمر مع ساحل ضيق تليها من جهة الغرب بلاد الحبشة النصرانية، فكأنها تطرز سواحل البحر الأحمر بطراز إسلامي، أي بنحو الحاشية غير العريضة من الثوب ونحوه.

وتعتبر أيضاً جزءاً من بلاد (الزيلع) التي أخرجت علماء ومجاهدين ومحدثين، وكانت أساس التسمية على ميناء على البحر الأحمر يقع إلى الجنوب من جيبوتي الحالية، ولكن المنطقة حتى داخل الهضبة الحبشية لمسافات طويلة عرفت ببلاد الزيلع بعد ذلك.

وكانت في وقت من أوقات التاريخ القديم خاضعة لبلاد الحبشة، ثم صارت في العصور الوسطى ابتداء من القرن الثالث جزءاً من سلطنة إسلامية اسمها (إيفات) قامت في منطقة (شوع) التي تقع فيها عاصمة إثيوبيا في الوقت الحاضر (أديس أبابا)، واستمرت سلطنة إيفات نحو (٤٠٠) سنة، تلتها سلطنات مسلمة عدة، ومن ضمنها منطقة جيبوتي.

وكانت جيبوتي الحالية مثل بلاد الحبشة هدفاً للهجرات العربية منذ عصور سحيقة، والهجرة الظاهرة للعيان التي لا تزال آثارها باقية هي إلى بلاد التقراي الواقعة في الهضبة الحبشية،

وأسقط أهلها بزعامة رئيس وزراء إثيوبيا الحالي (ملس زيناو) حكم هيلا مريم الشيوعي، واستولوا على الحكم ولغة هؤلاء القوم اسمها (التقراي).

وهي شقيقة (التقريني) لغة إريتريا، وهما من أوسع اللغات في الهضبة الحبشية، وكلتاهما عربية الأصل، بل هي سليلة اللغة العربية الأولى التي وفد بها العرب اليمانيون إلى الحبشة منذ نحو ألف سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام، واسمها اللغة الجعزية، قيل إن ذلك نسبة إلى العرب الذين جاؤوا بها إلى الحبشة، لأنهم كان يقال لهم (الجعزيون).

وقد اندثرت اللغة الجعزية، وماتت من الاستعمال العام، ولكنها بقيت حتى الآن لغة الكنائس والمراسم الدينية اليعقوبية، وهي الأرثوذكسية السائدة في مناطق الهضبة الحبشية في الوقت الحاضر.

غير أنها لم تمت حتى أنجبت ابنتين لها، هما (التقري) و(التقريني)، وهما من اللغات الحية المستعملة.

ولا تزالان تكتبان بالحروف العربية السبئية القديمة حتى الآن، لا كتابة لهما إلاّ تلك.

كما أسهمت اللغة (الجعزية) في إنجاب لغة أخرى، هي اللغة الأمهرية التي يتكلم بها الناس في منطقة (شوع) التي هي لغة

العاصمة أديس أبابا وما حولها، فكثير من ألفاظ هذه اللغة عربية واضحة.

والحاصل أن تاريخ جيبوتي هو تاريخ منطقة الطراز الإسلامي التي هي المناطق الساحلية المسلمة على الساحل الغربي للبحر الأحمر، وهو تاريخ متحرك الحدود على مرّ التاريخ، إلا أن ثقافته الإسلامية، وثبات أهله على الدين ظلا دون تغير إلا إلى الأحسن والأفضل للدين الإسلامي الحنيف، وذلك منذ أن وطئت أرض (راس مدر) قرب ميناء مصوع الذي يقع الآن في (إريتريا) شمال جيبوتي أقدام الصحابة المهاجرين في الهجرة الأولى إلى الحبشة وحتى الآن، والله أعلم.

الأرض

يمكن تقسيم جيبوتي إلى ثلاث مناطق رئيسية: المنطقة الساحلية، ونعتبر خليج تاجورا أقصى امتداد لها، وترتفع تدريجياً لأقل من (٢٠٠) متر فوق سطح البحر.

والمنطقة الثانية السطح البركاني في جنوب البلاد ووسطها، ويبدأ ارتفاعها من (٣٠٠) متر إلى (١٥٠٠) متر، ولكن تحيط بها سهول وأنهار، تعتبر من أقل المناطق انخفاضاً في شرق إفريقيا، ثم المنطقة الجبلية في الشمال: حيث يصل ارتفاع الجبال إلى (٢٠٢٨) متراً في جبل موسى، وأراضيها قاحلة وجافة، وتتخللها منحدرات

شاهقة، ووديان عميقة، ورمالها حارة، وأعشابها شائكة، وهناك عدد من الوديان مجراها رملي، تتدفق في منطقة الجبال.

والمناخ حار جداً، ومتوسط درجات الحرارة الكبرى في مدينة جيبوتي بين (٢٩) درجة مئوية في يناير، و(٤١) درجة مئوية في شهر يوليو، ومع نهايات الصيف إلى نهاية شهر مارس تهب الرياح الآتية من المحيط الهندي المحملة ببخار الماء، والأمطار معدلها أقل من (١٢٥) مليمتر سنوياً في المناطق الساحلية، ونحو (٥١٠) مليمتر في الداخل، وأكثر مناطق جيبوتي صحراء قاحلة، والخضرة تتألف من شجيرات شائكة، وبعض الحشائش، وهناك بعض المواضع الدائمة الخضرة في المناطق الجبلية، كما يوجد بعض نخيل التمور، وأشجار الخروع، والتمر الهندي في المسطحات المنخفضة، والحيوانات تشمل أنواعاً من الكلاب البرية، وبعض أنواع الغزلان، والنعام.

ونحو (١) في المائة من أراضي جيبوتي صالحة للزراعة، وأكثرها متاحة للرعي.

ومساحة جيبوتي كلها (٢١٧٨٣) كيلو متراً مربعاً.

السكان:

هناك مجموعتان عرقيتان رئيسيتان في جيبوتي، وهما العفاريون أو (الدناكل)، والصوماليون من عشيرة عيسى، وأكثر

من نصف السكان من عشيرة عيسى وعشائر صومالية أخرى، والعفاريون يشكلون خمسي السكان أي ٤٠ ٪، والباقون عرب يمنيون وقلة من الأوربيين (أكثرهم فرنسيون).

والمجموعتان العرقيتان الرئيسيتان كانوا في الاصل بدواً، مع أن الصوماليين أكثر تحضراً، وكلتاهما تتبعان العقيدة السنية الإسلامية، والعفاريون مجتمعون في شمال البلاد وغربها، والصوماليون موجودون في الجنوب، واللغات الرسمية هي الفرنسية والعربية.

وسكان مدينة جيبوتي يشكلون حوالي الثلثين من مجموع سكان البلاد، وكثير من اللاجئين الهاربين من الجفاف والحروب فروا إلى جيبوتي من إثيوبيا والصومال منذ عام ١٩٧٥، أكثرهم استقروا في مخيمات حول مدينة جيبوتي، مشكلين عبئاً ثقيلاً على بنية البلاد واقتصادها.

ويبلغ عدد السكان في جيبوتي (٥٨٠٠٠٠) ألفاً، وذلك حسب إحصاء يناير عام ١٩٩٥.

واللغة الرسمية هي العربية، ولكن الفرنسية مستعملة في الدوائر الحكومية والشركات أكثر من العربية، وهناك لغة العفر، ولكنها ليست رسمية، مقبولة في الدواوين، ولغة الصوماليين أيضاً كذلك.

الاقتصاد:

تتمتع جيبوتي باقتصاد نامٍ يعتمد في أكثره على التجارة والخدمات التجارية، ومدينة جيبوتي تمثل مركز نقل رئيسي للبضائع التي تذهب إلى إثيوبيا أو تأتي منها، والناتج القومي عندها أعلى بشكل واضح من الدول المجاورة لها، وقيل: إن السبب في ذلك الجالية الأوربية الكبيرة الموجودة في جيبوتي.

وجميع الأراضي - تقريباً - صحراوية، وأكثر الأطعمة مستورد، والزراعة تمثل أقل من (٣) في المائة من الناتج المحلي، والماشية التي ترعى على العشب تعتبر أهم من النشاط الزراعي، كما أن المحصولات التجارية تشمل التمر وبعض الفواكه والخضار، ولكن مياه الآبار العميقة ازدادت عمقاً بسبب الجفاف الدوري، وهناك مهنة صيد الأسماك بشكل محدود على امتداد المناطق الساحلية.

والصناعة فيها محدودة، وتشمل مصانع صغيرة لتعبئة المياه، ومعالجة الألبان، وجميع البضائع الاستهلاكية تقريباً مستوردة.

وتجارة تمرير البضائع (ترانزيت) وخدماته تشكل أكثر من (٨٠) في المائة من الناتج المحلي.

وبالإضافة إلى الميناء التي يتم توسيعها، وسكة حديد جيبوتي - أديس أبابا، فإن هناك مطاراً حديثاً في إمكانه خدمة

الطائرات النفاثة الكبيرة، وهناك عدد من الدول التي لا تملك سواحل على البحر ترسل بضائعها بالطائرة إلى جيبوتي لإعادة تصديرها، وقطاع الأعمال المصرفية في جيبوتي في نمو، والسبب الرئيسي في ذلك يرجع إلى استقرار الفرنك الجيبوتي النسبي، وسهولة تحريكه، وغياب أنظمة التحويل، وخدمات الاتصالات الجيبوتية العالمية، والتي تعتبر من الأفضل في الدول الشبه صحراوية الإفريقية.

والصادرات من المنطقة التي تمر من جيبوتي تشمل البن والملح والجلود والحبوب والبقول.

أما الواردات فإن أكثرها يتم استهلاكها محلياً، وتشمل الأطعمة والأقمشة والوقود الحجري والآلات وأجهزة النقل.

والتوازن غير المرغوب فيه في التجارة يرجع بعض أسبابه إلى الضرائب ومستحقات الموانئ، ولكن جيبوتي تعتمد بشكل كبير على المساعدات الخارجية، والتي تحصل عليها بسبب موقع البلاد الإستراتيجي، وتشمل قائمة الشركاء الاقتصاديين لجيبوتي فرنسا واليمن والسعودية وإثيوبيا واليابان.

التاريخ:

في القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً جاء مهاجرون عرب، واستقر معظمهم في الشمال، وبعضهم في الجنوب، والعفاريون أو

الدناكل هم أحفاد هؤلاء، وقام الصوماليون العيسى بإخراج العفاريين من الجنوب، وسكنوا المناطق الساحلية.

وفي عام ٨٢٥م جاء الإسلام عن طريق الدعاة.

وقد سيطر العرب على التجارة في هذه المنطقة حتى القرن السادس عشر الميلادي؛ حيث أتى البرتغاليون ينافسونهم عليها.

وفي عام ١٨٦٢م استولى الفرنسيون على منطقة جيبوتي، وفي عام ١٨٨٨م أنشأوا صومالية الفرنسية، وأصبحت جيبوتي عاصمة لهذه المنطقة الفرنسية في عام ١٨٩٢م، وبسبب اتفاقية مع إثيوبيا في عام ١٨٩٧م تقلصت المنطقة شيئاً ما في الحجم، وقد تم إنشاء سكة حديد لربط جيبوتي والمناطق الداخلية، تم فتحها بشكل فعال بين عام ١٩٢٤م وعام ١٩٣٤م، وذلك بواسطة إنشاء الطرق والمراكز الإدارية.

وبعد الحرب العالمية الثانية فقدت جيبوتي بعض تجارتها بسبب الميناء الإثيوبي عصب في إريتريا.

وفي عام ١٩٤٦م حصلت صومالية الفرنسية على وضع إقليم ما وراء البحار (من ١٩٦٧م الإقليم الفرنسي للعفاريين والعيسى).

وفي عام ١٩٥٨م صوتت لتصبح عضواً إقليمياً لما وراء البحار لجالية فرنسية تحت الجمهورية الخامسة، وفي عام ١٩٧٧م أصبح الإقليم مستقلاً تحت اسم جمهورية جيبوتي، وكان إعلان

استقلالها يوم ٢٦ / يونيو / ١٩٧٧م، وكان من مهام الحكومة الجديدة التعامل مع التوتر بين العفاريين والعيسى، ومع اللاجئين من مناطق الحرب في إثيوبيا والصومال.

يوم الجمعة: ٢٩/ ٢/ ١٤٢١هـ - ٢/ ٦/ ٢٠٠٠م

كنت وصلت إلى الرياض من مكة المكرمة قبل يومين من أجل الاشتراك في اللجنة التحضيرية المنبثقة عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وهي لجنة ملكية عين أعضاؤها بأمر ملكي، وقد كنت أحدهم، وقد صارت تعقد اجتماعاتها في مساء الثلاثاء من الأسبوع مراعاة لمن يأتون من خارج الرياض مثلي، لأنه لو كانت الاجتماعات تعقد في منتصف الأسبوع لكانت في ذلك مشكلة لي، لأن عملي في مكة المكرمة.

وقضيت الأربعاء والخميس في الرياض منكبًّا على الكتابة في بعض مؤلفاتي التي أو شكت على التمام، أو هي تامة ولكنها تحتاج إلى مراجعة، مثل ((**الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة**)) الذي أسميته المعجم الكبير، ويقع في واحد وعشرين مجلداً، ومثل كتاب ((**بين العامية والفصحى، أو ما فعلته القرون باللغة العربية في مهدها**)) ويقع في اثني عشر مجلداً، ومثل ((**الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة**)) الذي يبلغ ست مجلدات.

إضافة إلى تصحيح بعض كتب الرحلات التي يجري طبعها، ومنها كتاب ((**على سقف العالم**)) الذي طلب أحد الأندية أن

يطبعه.

ومع ذلك، ومع زحمة العمل الخاص هذا، كان عليَّ أن أسافر هذا اليوم إلى جدة، لكي أستقل الطائرة إلى جيبوتي، وأصلها مساء هذا اليوم.

وكان ما ضايقني أن الرحلة إلى جدة تقوم من الرياض في الواحدة ظهراً، وذلك ما يفوت صلاة الجمعة، مع أنه لا مانع شرعاً من أن يصلي المرء الجمعة ظهراً في مبنى المطار، لأنه يعتبر مسافراً منذ أن فارق عامر قريته كما يقول الفقهاء.

وقد جاملني المسؤولون في مطار الرياض، فأرسلوا معي موظفاً صحبني من غرفة الدرجة الأولى فيه حتى أدخلني الطائرة.

وانطلقت الطائرة السعودية من طراز (إيرباص)، ودرجتها الأولى التي ركبت فيها هي أقل من مستوى الدرجة الثانية من حيث التنجيد، وسعة المقاعد في كثير من طائرات الشركات العالمية، ومنها السعودية نفسها في طائراتها الحديثة.

ولا أدري كيف يستطيع المسؤولون في المؤسسة السعودية للطيران أن يزعموا أنها في مستوى الدرجة الأولى وهي ليست كذلك، ثم لا أدري أيضاً لماذا يسكت ركاب الدرجة الأولى وأنا منهم على ذلك مع ما ذكرته.

ومما يجدر أن يسجل هنا أن هذا الطراز من الطائرات لا

تذهب إلى الخارج بهذه الصفة، بل إنها تخصص للداخل، إلا في أيام المواسم للحج والعمرة.

غادرت الطائرة مطار الرياض في الواحدة والربع متأخرة ربع ساعة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل، وهذا لا يعد تأخيراً في عرف شركات الطيران، وقد جاء إليَّ كبير الملاحين في الطائرة عندما رآني، ولا أدري كيف عرفني، فأثنى على كتبي في الرحلات متسائلاً أين توجد ؟ لأنه معجب بها، فقلت له: إذا أعطيتني عنوانك أرسل إليك شيئاً منها، فأعطاني ذلك.

عندما وصلت إلى مطار جدة بعد ساعة وربع وجدت سائق سيارتي الذي اعتدت على أن يستقبلني، واعتاد المسؤولون في المطار أن يسمحوا له بالدخول إلى منطقة وصول الأمتعة حتى يتسلم أمتعتي كالعادة فلا أمسها.

وكنت في هذه الرحلة أحمل صندوقاً كبيراً من الورق المقوى، فيه نسخ من مؤلفاتي هدية لطلبة العلم في جيبوتي، وصندوقاً من الورق المقوى أيضاً فيه تمر من نخلات لي في بريدة هدية لهم أيضاً، خلاف حقيبتي التي فيها ملابسي.

سرنا من المطار المخصص لرحلات السعودية، وهو القاعة الجنوبية إلى القاعة الشمالية التي تقوم منها طائرات الشركات الأجنبية، مثل طائرات شركة الخطوط الفرنسية التي سوف

نسافر معها إلى جيبوتي.

وقد جلست في غرفة الدرجة الأولى في المطار، وهي أكبر وأجمل وأوجه وأسخى من غرفة الدرجة الأولى التي تتبع مؤسسة (السعودية) في مطاري الرياض وجدة، التي لا يستطيع المرء الذي سافر مثلي إلى أنحاء العالم، ورأى غرف الدرجة الأولى فيها، إلا أن يخجل من وضع هذه الغرفة، فليس فيها إلا كأس من الشراب الذي لا يكون منوعاً، وإنما هو حسب الموجود، أو فنجان من القهوة أو الشاي.

وقد لحق بي في هذه الغرفة عضوا الوفد الذي أرأسه وهما: الأستاذ سمير جميل راضي، وطلال بن عبد العزيز الحكمي.

وكان المسؤولون في مطار جدة في هذه القاعة الشمالية قد جاملوني أيضاً، فكان معي أحد موظفيهم حتى وصلت غرفة الدرجة الأولى.

من جدة إلى جيبوتي:

حملتنا حافلة إلى طائرة إيرفرانس، وقد وضعوا فيها ركاب الأولى التي هي درجة رجال الأعمال عندهم، وهي المسماة (بزنس كلاس)، وعندنا بدرجة الأفق، وكذلك ركاب الدرجة السياحية.

لقد كان عهدي قريباً بالركوب مع الخطوط الفرنسية، ربما لا يتعدى شهرين ونصفاً، وذلك حينما ركبنا بها من باريس إلى (هافانا) عاصمة جمهورية كوبا، وذكرت ذلك في كتاب: ((**السفر والأوبة، من كوبة**)).

ولم أحمدها بالنسبة للشركات الأوربية، ولا بالنسبة لبعض شركات الطيران العربية، وجنوب آسيا الشرقي، فخدمة الطائرات الفرنسية في الجو دون أولئك.

غادرت الطائرة مطار جدة في السادسة والنصف متأخرة (١٠) دقائق عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل وهو السادسة والثلث، وهذا لا يعد تأخيراً كما قدمت.

وكان نصف مقاعد درجة رجال الأعمال التي ركبنا فيها، وهي أعلى درجة في الطائرة، خالياً.

وكانت إعلانات الطائرة بالفرنسية مطولة، وبالإنجليزية معتدلة، ولا إعلان بالعربية، مع أنها مغادرة بلداً عربياً وهو المملكة إلى بلد عربي في كثير من النواحي وهو (جيبوتي).

ولكنهم يعتبرون (جيبوتي) بمثابة البلد لهم، لأنه المحطة لبواخرهم، وكذلك لطائراتهم حتى في ذهابها إلى شرق إفريقية كمدغشقر، وجزر القمر، وجزيرة رينيون التي هي أرض فرنسية فيما وراء البحار.

وأعلنوا أن الطيران سوف يستغرق ساعتين إلا ربعاً.

وقدموا وجبة عشاء لا بأس بها، فهي متوسطة لهذه الدرجة مثلما أن خدمتهم كانت متوسطة، حتى إن المضيفين كانوا يغفلون أو يتغافلون عن أخذ الكاسات أو فناجين الشاي الخالية، إذا تأخر الراكب عن شرب ما فيها.

وجدنا في جيوب المقاعد مجلة ضخمة، معظم ما فيها بالفرنسية، وفيها قسم لا بأس به مبثوث فيها بالإنجليزية، ولم يوزعوا علينا أية جرائد أو مجلات، وهذا من النقص عندهم، لأنه كان يمكنهم أن يحصلوا على بعض الصحف السعودية من جدة للركاب الذين سيتركونها فيقرؤها الركاب الذين سيركبون معهم إلى جدة من جيبوتي، وأغلبهم يعرفون العربية.

في مطار جيبوتي:

أعلن مكبر الصوت من الطائرة قبل النزول في مطار جيبوتي أن درجة الحرارة فيه هي (٣٢) درجة مئوية، كما أعلن الوقت وهو مساو لتوقيت المملكة.

وهبطت في المطار بعد ساعتين إلا ربعاً من الطيران، فوجدت في استقبالي في المطار الشيخ (موجي درر سمتر) وزير الشؤون الدينية والأوقاف في جيبوتي، والأخ (محمد كرم) منسق نشاط مكتبي رابطة العالم الإسلامي وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية

التي تتبع الرابطة في جمهورية الصومال وجيبوتي، وممثل للسفارة السعودية في جيبوتي الذي ذكر أن السفير هو خارج جيبوتي في الوقت الحاضر في إجازة معتادة.

وقد صنعوا شيئاً غير معتاد، فقد قربوا السيارات في ساحة المطار، فركبناها إلى الفندق دون أن نمر بقاعة الزوار أو غيرها، تاركين لموظفيهم استخلاص الأمتعة والختم على الجوازات.

مدينة جيبوتي:

جيبوتي: اسم القطر، وهو اسم المدينة أيضاً، ولم أرهم يحفلون بتسمية المدينة تسمية خاصة بها للتفريق بينها وبين سائر البلاد، التي رغم قلة سكانها وضعف مواردها فإنها غير صغيرة المساحة، إذ تبلغ مساحتها (٢١٧٨٣) ألف كيلو، فهي أكبر قليلاً من ضعف مساحة لبنان، ولكن أكثرها لا تنتج معشار ما تنتجه أرض لبنان.

قصدوا بنا فندقاً كانت السفارة السعودية قد حجزت لنا فيه غرفاً من قبل، وهو فندق (عالية)، وهو جديد نظيف يقرب مستواه من أن يكون من ذوات النجوم الأربع، وإن لم أعرف بالضبط عدد نجومه.

وقد أعدوا لي جناحاً أي (سويت)، وللأخوين المرافقين لكل

منهما غرفة، وأجرة الغرفة المعتادة هي (٦٥) دولاراً أمريكياً، أما الجناح الذي أنا فيه فأجرته (١٣٠) دولاراً، وذلك كله داخل فيه طعام الإفطار.

وهذا سعر معتدل بالنسبة لمثل هذه البلاد التي تستجلب كل ما يحتاجه الفندق من الخارج، وليس فيها ما قد يجعل الأجرة أقل إلا مستوى الأجور المتدني نسبياً.

وقد بقي وزير الشؤون الدينية والاوقاف معنا في غرفة الجلوس من الجناح الذي أقيم فيه لفترة من الوقت، ثم ودع وانصرف بعد أن كان وعدني بأن يهدي إليّ نسخة من كتابين كان ألفهما عن (قبيلة العيسى) التي تؤلف الأكثرية النسبية من سكان جيبوتي، وهي قبيلة صومالية يرجع نسبها البعيد إلى قبيلة (بني إسحاق) الموجودة بكثرة الآن في شمال الصومال، ويقال لهم الإسحاقيون، ولكن بقي معنا بعض الإخوة من الأصدقاء الصوماليين الذين كنا نعرفهم، ومنهم الأخ محمد نور مدير الشؤون الدينية في الصومال سابقاً، والشيخ عبد الرحمن سمنتر مدير مكتب الرابطة في مقديشو الذي اتحد في العمل مع مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التي تتبع رابطة العالم الإسلامي.

وقد اطلعنا على البرنامج الذي وضعته الحكومة الجيبوتية لزيارتنا، ووافقنا عليه مع بعض التعديلات، وقد أجمع الذين قابلناهم من الآن على اعتقادهم بأن وفدنا سوف ينجح، لأن الجميع

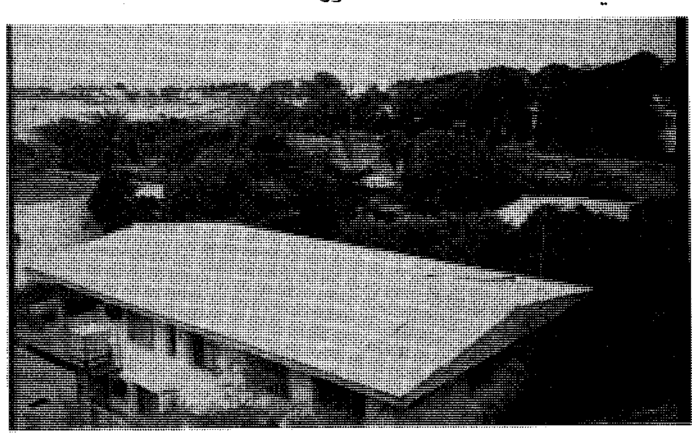
ملوا من الحرب والقتال، وانفض من كانوا يؤيدون زعماء الحرب من حولهم، ولكن الجميع ذكروا الأعباء المالية الفادحة التي يتكبدها أهل جيبوتي في إعاشة العدد الضخم من الصوماليين الذين حضروا للمؤتمر، إذْ يبلغ عددهم مع أتباعهم (١٥٠٨) أشخاص، وذكروا أن الحكومة الجيبوتية بحاجة ماسة إلى المساعدة على ذلك.

يوم السبت: ١/ ٣/ ١٤٢١هـ - ٣/ ٦/ ٢٠٠٠م

صباح جيبوتي:

كنا عهدنا إلى أحدنا أن يتولى أمر إيقاظنا لصلاة الفجر، وتنبيهنا على غيرها، وقد نمت نومة خفيفة بعد صلاة الفجر.

وعندما أزحت ستارة النافذة بعد طلوع الشمس لألقي نظرة في النور على جزء من البلدة، كان المنظر جيداً إذ هو منظر شاطئ بحري على هيئة هلال، عليه بيوت جيدة المظهر، وهذا ليس غريباً، ولكن الغرابة في كثرة الأشجار والاخضرار، بعد أن كان قد استقر في أذهاننا أن جيبوتي بلاد صحراوية قاحلة، ليست فيها خضرة، والواقع أن هذه الخضرة هي خضرة أشجار بعضها صحراوي ينمو على الرطوبة القليلة في الأرض، وبعضها مغروس، وقد أعجبني المنظر فالتقطت له صورة.



منظر من نافذة الفندق في جيبوتي

ومن الأشياء التافهة التي رأيتها هنا، وهي غريبة، أنني رأيت حماماً سوداً ضخمة جداً، حتى بدت في عيني أكبر حجماً من الغربان، ولم أر شبيهاً لها في ضخامتها وكبر جسمها في أي مكان آخر من العالم، وذلك مع كون هذه البلاد صحراوية لا يتوقع أن تكبر أجسام الحيوانات فيها.

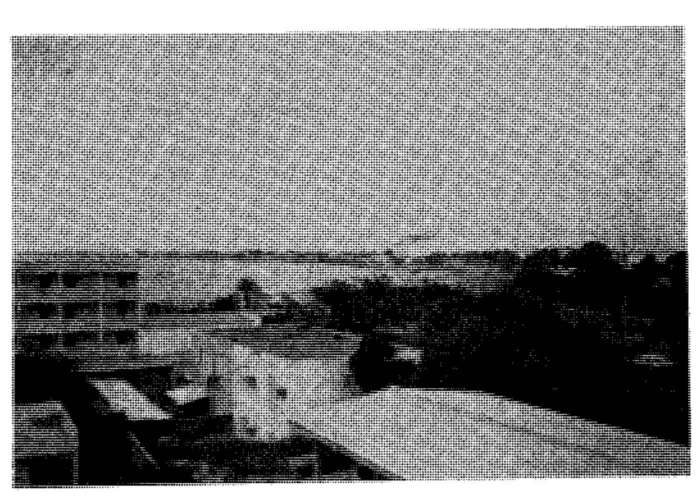
حتى إن الخيال كان أوحى إلي من باب المزح والتنادر أن (اليربوع) الصحراوي الصغير الذي هو في حجم الفأرة، ربما كان هو و(الكنقرو) الذي يشبهه في كل شيء من الخلقة، وبخاصة قصر يديه وطول رجليه، وكيفية عدوه الذي هو نَقْز على اثنتين، وليس سيراً على أربع، ولكنه - فيما قاله الخيال - وجد في قارة استراليا الغنية بالمراعي، ولم يكن يزاحمه على مراعيها أي حيوان آخر مثيل له كالغنم والظباء، أو حتى البقر والإبل، فنما وعظم حتى وصل إلى حجم الخروف، أو نحو ذلك كما هو عليه الآن.

أما اليربوع فيما يقوله الخيال، فإنه وجد في صحرائنا العربية القليلة المرعى، وكان يزاحمه أيضاً جيوش من الحيوان الصغير والكبير، لذلك صار حجمه ينقص، حتى وصل إلى ما وصل إليه الآن.

ومن الملاحظ الذي أراه الآن أن بعض البيوت البعيدة أبوابها أو نوافذها مفتوحة على الهواء الطلق مع الحر، بخلاف غرفنا في الفندق، فإنها مغلقة لكون الفندق مكيفاً، ورأيت عدداً من

النساء من شرفات المنازل أو أحواشها - أفنيتها - وعليهن الملابس الطويلة السابغة، وكأنما هن عند رجال تحتشمن منهم، وهذا يدل على أصالة التستر، وعدم العري عندهن، وقد تأكد لي ذلك مما رأيته بعد ذلك.

ونزلنا إلى مطعم الفندق لتناول طعام الفطور مع الدرج من الطابق الثالث الذي نسكنه، وهو أعلى طابق فيه، وليس فيه مصعد، فاستقبلتنا في المطعم فتاة عربية الملامح، ولكنها جيبوتية السحنة، قد نثرت عليها أشعة الشمس الإفريقية ما شاءت من الرماد، إلا أنه لم يصل بها إلى السواد الذي هو اللون الغالب على الناس في هذه البلاد.



صورة أخرى من نافذة الفندق في مدينة جيبوتي

كان فطورهم جيداً، وهو داخل في أجرة الغرفة.

والكلام كله بالعربية، ولم أسمع أية لغة أخرى معها، لا في هذا الفندق ولا في مكان آخر، اللهم إلا ما كان من أمر بعض المواطنين الذين قد يتكلمون فيما بينهم بالصومالية التي هي لغة أكبر الطوائف في البلاد، إذْ يتألف السكان من طوائف ثلاث رئيسية، أكبرها العيسى الذين هم صوماليون أصلاً وفصلاً، ولغتهم الصومالية التي يتكلم بها أهل الصومال، وتبلغ نسبتهم في البلاد (٤٥ ٪)، يليهم العفر الذين يتكلمون اللغة العفارية، ويمتد وجودهم إلى الحبشة، بل إنهم هناك هم الأكثر، ونسبتهم (٣٥ ٪)، ثم العرب الذين لا يعرفون إلا العربية، وهم (٢٠ ٪)، ولكن الجميع يتكلمون بالعربية ويتفاهمون بها فيما بينهم، لا سيما أنهم كلهم مسلمون، ولكنهم يعتبرون امتداداً لجماعات بشرية أكبر كما هو ظاهر.

حتى اسم البلاد نصفه عربي:

إنه من نافلة القول أن نؤكد ما ذكرناه من غلبة العربية في البلاد، وإن كانت اللغة الفرنسية - لغة المستعمرين - هي اللغة الرسمية في الحكومة، فإن الدوائر الحكومية كلها تكتب لافتاتها بالعربية إلى جانب الفرنسية، ولا غرو في ذلك، فجيبوتي عضو في جامعة الدول العربية المعطلة في الوقت الحاضر إلا من

الكلام.

مع أنني لاحظت أن كثيراً من الشركات التي يملكها الأجانب، وبخاصة الفرنسية منها، لا تكتب العربية على لافتاتها الخارجية.

وجميع أسماء المواطنين في طوائفهم الثلاث هي أسماء عربية، إلا نوادر مستوحاة من أسماء محلية قبلية.

وحتى اسم البلاد (جيبوتي) نصفه عربي، فأصله (جا بوتي)، وبعضهم يقول: (جا بوتو)، فجاء هي العربية، وهي بصيغة الفعل الماضي من جاء يجيء، و(بوتي) أحد قدماء المستعمرين الذين أقاموا في هذه المنطقة في أول الأمر، فسمى الأهالي البلاد بذلك، أي جاء بوتي، وبعضهم يقول: إن اسمه (بوتو) حرّف إلى بوتي.

وقد اعتادت الصحف العربية أن تكتب اسمها (جيبوتي) بكسر الجيم، جرياً على اللفظ بالفرنسية، إلا أنني رأيت لافتة رسمية على مقر مؤتمر المصالحة والسلام الصومالي كتبوها بالحروف اللاتينية (جابوتي) بفتح الجيم وألف بعدها.

هدية ثمينة:

كان تطرق البحث أمس مع وزير الشؤون الدينية الشيخ (موجي درر سمتر) حول تاريخ قبيلة عيسى الصومالية، ولها

الأكثرية النسبية في البلاد، ولها امتداد في الحبشة والصومال الشمالي، والوزير منهم، فذكر أنه كان قد كتب كتابين في تاريخهم، وأنه سوف يحضرهما غداً - اليوم - وقد وفى بوعده، إذْ أحضر الكتابين في هذا الصباح الباكر، وسلم ثم ذهب دون أن يلبث عندنا طويلاً.

وموضوعهما مهم، ولا تكاد توجد كتب بالعربية تبحث بحثاً واسعاً فيه، وقد ألفهما عالم من علماء القبيلة المذكورة، أو هذا هو مبلغ علمي، حيث تخلو مكتبتي منها.

وهي هدية ثمينة، لأنني سوف أودعهما خزانة كتبي الخاصة التي أنوي أن أوقفها في مسقط رأسي مدينة بريدة.

الاجتماع بالمثقفين:

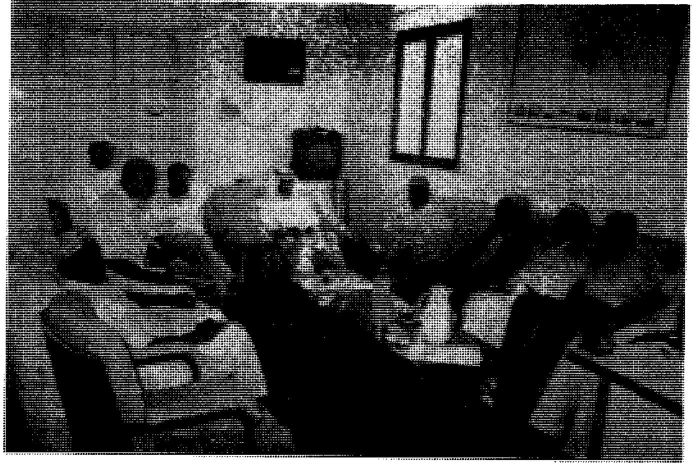
كانت أولى فقرات العمل في هذا اليوم هي الاجتماع بالمثقفين الصوماليين الذين حضروا مؤتمر السلام والمصالحة، وكان رئيس جمهورية جيبوتي إسماعيل عمر جيلي قد عمل ترتيباً جيداً للمؤتمر، بأن دعا أولاً مجموعة من المثقفين إلى الاجتماع، وقال: يمكنكم أنتم أن تؤثروا في شيوخ القبائل وكبار القوم، ثم زعماء القبائل بمشاركة المثقفين، والقبائل الرئيسية الكبيرة الأربع، تضاف إليها مجموعة من القبائل الصغيرة التي يسمونها أقليات، وتأتى بعد ذلك مجموعات السياسيين، والأثرياء،

والمفترين.

وقال لي أحدهم: إن مجموعة المثقفين هي بمثابة المرشد للمؤتمر، وقد جمعهم مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية في جيبوتي الذي هو بمثابة مكتب لرابطة العالم الإسلامي، لأن الهيئة تابعة للرابطة، ومنهم الشيخ محمد أحمد نور المدير العام للشؤون الدينية في الصومال سابقاً، وأحد خريجي الجامعة الإسلامية الصوماليين، والدكتور محمد يوسف، والدكتور إبراهيم الدسوقي، وهو طبيب وصاحب مطبعة، ويصدر جريدة (الأمة) في مقديشو، ووجدت فيهم طائفة سبق أن اجتمعت بهم، وفيهم أناس من تلاميذي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، مع العلم بأنني كنت انتقلت من الجامعة الإسلامية إلى وظيفة (الأمين العام للدعوة الإسلامية وأمين الهيئة العليا للدعوة) في عام ١٣٩٤، أي منذ ربع قرن، وبعضهم ذكروا أنهم سمعوا بي، أو قرؤوا بعض كتبي، وربما كان من يعرفني منهم قد ذكرني لمن لا يعرفني.

ألقيت فيهم كلمة طويلة، أهم ما جاء فيها أنني من أوائل من عرفوا الصومال من بلادنا، حيث زرته لأول مرة عام ١٣٨٤هـ-١٩٦٦م، ثم تتابعت زياراتي له، وقد ذكرت ذلك في الكتاب الأول الذي ألفته الرحلات، وهو: ((**في إفريقية الخضراء**))، وكان -أي الصومال- مثال الاستقرار والأمن والهدوء، وكان إلى ذلك أيضاً مثال الرخص في الأسعار، والوفرة في الأرزاق، وكنا نؤمل في تلك

العهود أن تتضم إليه الأجزاء الصومالية التي اقتطعت من الوطن الصومالي، وهي منطقة الصومال الغربي، التي تسمى (أوجادين)، وهي الآن ضمن أراضي إثيوبيا، استولت عليها قبل استقلال الصومال، وإقليم (انيفدي) الذي ضمته بريطانيا إلى كينيا، رغم كون أهله من الصوماليين أصلاً ولغةً وديانةً، إذْ كلهم يدينون بالإسلام، وكنا نقول: إنه إذا تحقق ذلك، فإن دولة مسلمة كبيرة تولد هناك، وتكون نصرة للإسلام وأهله، وعاملاً على نشره في المناطق المجاورة، ولكن الأمور ساءت إلى أفظع مما قد يدور في الخيال في تلك العهود، وهو انفراط الحكم، وشمول الفوضى في البلاد، بل الاقتتال والاحتراب، وتخريب الوطن.



جانب من الاجتماع بالمثقفين الصوماليين في مكتب الهيئة والرابطة (الأستاذ سمير جميل راضي على يسار المؤلف)

وكانت الحرب تدور بين المسلمين بسبب القبلية، ثم صارت القبيلة تنشق على نفسها، ويحارب بعضها بعضاً.

وذكرت ضرورة عودة الصومال دولة موحدة متماسكة مترامية الأطراف، وأن ذلك مطلب عربي إسلامي، فضلاً عن كونه حقاً من حقوق الصوماليين، وذكّرتهم بما كنت عرفته، وهم يعرفونه، وهو أن الشعب الصومالي شعب مسلم متمسك بدينه، يعمل على نشر الإسلام حتى وهم في المهاجر، كما أوضحت أهمية مبادرة رئيس جيبوتي وميزتها عن المبادرات السابقة، وامتدحت رئيس جيبوتي في مبادرته الجريئة وسعيه الحثيث في إقناع الصوماليين والعالم بضرورة إنهاء الأزمة الصومالية، وباسم الرابطة شكرت الرئيس على هذه الجهود المباركة.

ثم تحدث الخبراء الصوماليون، وأشادوا بجهود رابطة العالم الإسلامي تجاه قضايا العالم الإسلامي عموماً، وأن مجيء هذا الوفد من تلك الجهود المتواصلة التي تقوم بها الرابطة، ثم أعطوا فكرة موجزة عن أهمية هذا المؤتمر والآمال المعلقة على نجاحه، وخطوات سير أعماله وبرامجه، والفئات المشاركة فيه، وكل ما يتعلق بالمؤتمر، كما طالبوا بضرورة إبراز دور العالم الإسلامي حكوماته ومنظماته في دعم هذا المؤتمر بالمبادرة بالاعتراف بنتائجه، إذا تم بناء دولة صومالية جديدة.

وأجابوا على بعض الأسئلة التي طرحها وفدنا عن دور رؤساء الفصائل الغائبين عن المؤتمر، فأجابوا بأن دور الفصائل المسلحة قد انتهى، وليس لهم تأثير في تعطيل المؤتمر ولا نتائجه مستقبلاً، إذا لم تدعمهم دول أجنبية بصفة علنية.

وقد رد عليَّ اثنان منهم، ذاكرين اهتمامي بالصومال ومعرفتي بشؤونه، وأكدا على أن كتابي ((**في إفريقية الخضراء**)) كان أحسن الكتب التي عرفت بالصومال، وأوضحت للإخوة العرب كثيراً من أموره.

مع مستشار رئيس الجمهورية:

عدنا إلى الفندق من أجل موعد للاجتماع مع مستشار رئيس جمهورية جيبوتي (آدم شيخ حسن)، وذلك بناء على الفقرة المذكورة في البرنامج.

والرجل شخصية كبيرة من المقربين لرئيس الجمهورية، وكان يمثل جيبوتي في (منظمة المؤتمر الإسلامي) في جدة، ثم كان سفير جيبوتي في الرياض مدة ست سنين.

وهو يتكلم العربية بطلاقة، وقد تكلم المستشار بإسهاب عن موضوع الصومال، وكيف أن أحد عشر مؤتمراً للمصالحة عقدت قبل هذه المرة ولم تنجح، ولذلك اتخذ رئيس الجمهورية

كافة الاحتياطات لنجاح المؤتمر هذه المرة.

وقال: إن هذا المؤتمر يختلف عن المؤتمرات السابقة من حيث بدأ العمل من البنية التحتية من رؤساء العشائر والعلماء والمجتمع المدني، وأضاف بأن رئيس الجمهورية السيد إسماعيل عمر جيلي فور توليه الحكم في جيبوتي شرع في الاهتمام بملف الصومال، رغم ما تعانيه جيبوتي من مشكلات اقتصادية وأمنية واجتماعية، ولما خطب في الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر الماضي، لم يتحدث عن مشكلات بلده، وإنما تحدث عن الصومال، وعرض مبادرته التي لقيت ترحيباً من قبل المجتمع الدولي والشعب الصومالي على السواء.

ومن أهم ما امتاز به هذا المؤتمر عن المؤتمرات السابقة، استبدال الفصائل السياسية المسلحة بالأعيان وقادة القبائل، ولما صمم الرئيس على عقد المؤتمر، عُرضت عليه عروض مالية لتمويله، ولكنه رفض خوفاً من التدخل في التأثير بالمؤتمرين، لأن الدول ذات المصالح الخاصة إذا مولت المؤتمر ستؤثر في سيره، وبالطبع فإن المؤتمر يكلف مبالغ باهظة؛ إذ يتوقع أن يصل عدد أعضائه إلى ألفي عضو، يصعب على جيبوتي تحملها وحدها، لذلك فإن الأمر يتطلب من الدول العربية والمنظمات الإسلامية أن تقوم بواجباتها في إنجاح المؤتمر.

ثم عقبت على كلامه فشكرت المستشار على إعطائه

فكرة واضحة عن مبادرة الرئيس، وأن كلامه مستوفٍ ولا حاجة إلى التعليق، وأوضحت فقط بأن ذكّرت الحضور بأن الرابطة عليها ثقل كبير تجاه العالم الإسلامي كله، وخاصة في المناطق التي يعاني المسلمون فيها من مشكلات عديدة، خاصة الأقليات الإسلامية، وكذلك قضايا المسلمين الساخنة، ويستحيل عليها أن تلبي كل الاحتياجات في كل أنحاء العالم، ولكنها تقوم بأداء واجباتها - ولله الحمد - وفق الإمكانات الكبيرة المتوفرة لها، وبالنسبة إلى الصومال لما سمعنا بمبادرة رئيس جيبوتي، وعلمنا عزمه على عقد المؤتمر والتخطيط له، اقتنعنا بأن مثل هذه الجهود العظيمة لا يقوم بها إلا أهل العزم من الرجال، وسررنا بذلك، حيث قام بإحياء القضية الصومالية من جديد، وشعرنا أنه لا زال هناك رجال ومن أهل الخير يعملون لخدمة بلادهم، ولا شك في أن الرئيس إسماعيل عمر جيلي أهل لأن يقوم بهذه المبادرة، لأن الصومال أهله، ولديه من الإحساس والشعور بالمعاناة والأسى الذي يعانيه الشعب الصومالي، ما لا يوجد عند غيره من البعيدين عن المنطقة، فلا غرابة في أن يقوم بهذه المبادرة الجريئة، ونسأل الله أن يكلل جهوده بالتوفيق والنجاح.

ثم كررت له شكرنا رئيس جمهورية جيبوتي (إسماعيل عمر) ومعاونيه على عملهم هذا الذي رأيناه، وقلنا: إن هذا شرف تاريخي، لأنكم تقومون بما ينبغي أن يقوم به المسلمون جميعاً تجاه

إخوتهم الصوماليين، من مساعدتهم على استعادة حكومتهم، وبالتالي عودة الهدوء والنظام إلى البلاد.

لقاء الوفد مع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية:

في صباح يوم الأحد الموافق ٣٠/ ٢/ ١٤٢١هـ قابل وفدنا صاحب المعالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد (موجه درر سمتر) في مكتبه بالوزارة، فرحب بالوفد، ثم قدم فكرة عن وزارته وواجباتها، ودورها في نشر الدعوة الإسلامية، والعناية بالمساجد والأوقاف، وخلاوي القرآن، وقال: إن الوزارة جديدة، وليست لها إمكانيات في أداء دورها في خدمة المسلمين في هذا البلد، وإنها تشرف على عدد كبير من المساجد، التي هي في حاجة إلى ترميم وتكملة وتعمير وغير ذلك، كما أن الدعاة والأئمة والخطباء ليس لديهم دخل مادي يعينهم، وطلب من الرابطة أن تقدم المساعدة في دعم الأئمة والدعاة والمساجد والمكتبات الإسلامية.

فشكرت الوزير على حسن الاستقبال، وتزويده للوفد بالمعلومات عن أنشطة الوزارة في نشر الدعوة الإسلامية لخدمة الإسلام والمسلمين في المنطقة.

وبالنسبة إلى طلبات الوزير، ذكرت له أن الرابطة سوف تتعاون مع وزارته، وسنبذل ما في الوسع لتلبية حاجة جيبوتي في

دعم خدمة الإسلام، فبالنسبة إلى ترميم المساجد وتزويدها بالفرش والمتطلبات الضرورية، فإن هذا ممكن بإرسال الطلبات إلى الرابطة، لأن هذا متيسر، وبالنسبة إلى دعم الدعاة والأئمة والخطباء فيمكن تقديم المقترحات في دعمهم، ونسعى إلى إرسال إعانات في المناسبات لدعمهم في أداء مهماتهم، ولكن يصعب كفالتهم وتوظيفهم بصفة مستمرة كلهم، وبالنسبة إلى استضافة بعض العلماء في موسم الحج، نخصص لجيبوتي من الآن عدداً مناسباً عند قرب موسم الحج، مع العلم بأن مكان الرابطة في منى محدود، ولا يتسع لكل الطلبات من أنحاء العالم، وبالنسبة إلى دعم المكتبات الإسلامية، فيمكن إرسال ما يتوفر لدى الرابطة من الكتب مستقبلاً إن شاء الله، وقد أهديت مجموعة من مؤلفاتي إلى معالي الوزير.

بلدة عرتة:

(عرتة) منتجع يقع على بعد (٤٢) كيلومتراً من مدينة جيبوتي على هضبة جبلية غير بعيدة من البحر، لذلك هواؤه جيد قليل الرطوبة، ويتألف من دارات (فيلات) وقصور للأثرياء والوجهاء من أهل البلاد، اختارته الحكومة الجيبوتية مكاناً لإقامة المؤتمرين الصوماليين، لكونه منعزلاً عن المدينة، بعيداً عن التداخلات، ووفرت فيه ما يصعب توفيره على ذوي الإمكانات

المالية والفنية، مع كون البلاد فقيرة قليلة الموارد، ليست لديها خبرة فنية في تنظيم مثل هذه المؤتمرات، وليست لديها قدرة على تحمل النفقات الكبيرة اللازمة لها.

ولكن صدق العزيمة، ونبل الهدف سهل عليها كل صعب.

فقد أسكنت هذا العدد الضخم من الصوماليين الذين ذكروا أنه (١٥٠٨)أشخاص في الفيلات الموجودة، وذلك بأن خرج منها أهلها، وفرغوها للصوماليين مجاناً، إسهاماً في إنجاح هذا الهدف النبيل.

وفوق ذلك وضعت الحكومة خياماً فنية جيدة، بمثابة زيادة المساكن، وأعدت لهم أربعة مطابخ ضخمة تطبخ طعامهم، فيكونون هنا ساكنين آكلين شاربين، وحددت للمؤتمر مدة شهرين، أولهما للمداولات العامة والمصالحة، واجتماع الفرقاء الذين كانوا يتقاتلون وجهاً لوجه، بغية إزالة الوحشة، وتهيئة النفوس للصلح.

وكانت الحكومة الجيبوتية قد وضعت تحت تصرف وفدنا سيارتين؛ إحداهما لي، ومعي الوزير (موجي) وزير الشؤون الدينية، وكان قبل رئيس المحكمة العليا الشرعية، ويركب معي عضو الوفد الأستاذ سمير جميل راضي، فخرجنا من العاصمة مدينة جيبوتي في الساعة الثانية عشرة قاصدين (عرتة)، قلت للوزير: إنني

أعرف شخصاً صومالياً مهماً، كان تولى إحدى الوزارات، أظنها وزارة الخارجية في الصومال قبل الفوضى الحاضرة، اسمه (عرتة)، فما معنى اللفظ؟ فقال: (عرتة) في اللغة تعني الرجل القوي المقدام.

سار بنا الركب المؤلف من السيارتين المذكورتين، وخلفهما سيارة مكتبي هيئة الإغاثة الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي.

خرجنا من المنطقة الجديدة من مدينة جيبوتي التي نتيم فيها، إلى منطقة من الفراغ رأينا فيها أحياء شعبية، وأحياء أخرى على البعد، فجيبوتي متفرقة الأحياء، واسعة الأرض، وتربط بين هذه الأحياء التي تتصل مع بعض الاتجاهات طرق إسفلتية جديدة، نوهوا بأنها شقت وبلطت بمعونات من دول أجنبية.

أما الأرض فإنها الصحراء المعهودة في بلادنا، غير أن فيها شجراً يمنع أن ترعاه الإبل، إلا أنني لم أر ماشية هنا، إلا بقرات حسنة المظهر، ومعزى صغار الحجم قليلة.

وأما الجو فإن جيبوتي مشهورة بشدة حرارتها، إلا أننا عندما وصلناها وجدناها تشبه مدينة جدة في الجو، ما لا يستطيع المرء مثلنا أن يبقى فيه بدون تكييف إلا إذا كان قد تعود على ذلك منذ الصغر، ولم يستطع الحصول على مكان مكيف، فإن المراوح الكهربائية تبدد الرطوبة، وإن لم تطرد الحر، إلا في تحريك الهواء.

أما الطريق فإنه جيد بدأ بالارتفاع ارتفاعاً قليلاً، ثم أخذ يتدرج في الارتفاع حتى وصلنا (عرتة).

فدخلناها مع شارع مزفت، أشاروا إلى بيت فيها جيد من بين البيوت الكثيرة المحاطة بالأشجار، بل بالحدائق التي تطل من أكثرها زهور بهيجة، وقالوا: هذا هو بيت رئيس الجمهورية السابق حسن جوليد، قد أخلاه مثلما أخلى غيره بيوتهم لسكن الصوماليين.

وقد عجبت من الخضرة والأشجار، بل والأزهار في (عرتة) التي هي في مكان جبلي مرتفع، لا يكون فيه ماء، ولكنهم ذكروا أن فيه خزاناً ترفع إليه مياه من مياه الآبار الارتوازية، وقد زفتت أكثر الشوارع في هذه البلدة، وجوّها أكثر جفافاً، وأبرد من جو العاصمة، لذلك سكن فيها علية القوم وأثرياؤهم.

المطاعم الضخمة:

وقف بنا الوزير ومن معه على مطعم من المطاعم الموجودة في البلدة، وكانوا أرادوا من الذهاب إليها في هذه الساعة التي هي ساعة الغداء أن نرى القوم وهم يأكلون.

وقد رأيناهم بالفعل كأنهم في هذا اليوم لكثرتهم، واتساع موائدهم في عدة حفلات من حفلات الزواج مجتمعة، لأن الحفلة الواحدة لا يبلغ عدد المدعوين فيها هذا المبلغ، وربما لا يبلغ نصفه.



الوفد السعودي في أحد المطاعم ويرى الوزير الجيبوتي (موجي) على يمين المؤلف

وقد صفوا الموائد صفوفاً، وجدنا على بعضها الآكلين لا يزالون يأكلون، وبعضهم فرغوا من الطعام، وبقيت بقاياه مما تناثر من الأرز وبقايا اللحم على الموائد.

وهم في عدد كبير، خُيِّل إليَّ أن من يستطيع أن يستضيفهم لمرة واحدة في عشاء أو غداء، فإنه يعتبر من الكرماء الصابرين.

كنا جميعاً نرتدي الملابس العربية، وعليَّ حتى العباءة، ولذلك كان منظرنا لافتاً للنظر، لاسيما أن القوم قد احتفوا بنا،

إذْ معنا الوزير القريب من رئيس الجمهورية الشيخ (موجي)، وكذلك المستشار (آدم شيخ)، وهم هنا كما في الصومال، قد يقولون في آدم (آدن) بالنون، ومن ذلك اسم أول رئيس لجمهورية الصومال السيد (... عبد الله آدم)، وكنا لا نعرف اسمه إلا بالميم في أخره، على اسم آدم أبي البشر، غير أنني عندما زرت الصومال للمرة الأولى في عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م أثناء حكمه سمعتهم يقولون في اسمه (آدن) بالنون.

وليس ذلك بغريب، فالإخوة الصوماليون إذا أرادوا أن يظهروا امتنانهم لشخص على فعل فعله، قالوا (أسحنت) وهي الكلمة العربية (أحسنت).

وهذا ما أثار عجبي لأول مرة، إذْ كلمة (أحسنت) العربية مشهورة جداً في اللغة السواحلية التي يتكلم بها الناس في معظم أقطار شرق إفريقية ووسطها، حتى صاروا يعبرون بها عن الشكر فيقولون (أحسنتَ) بفتح التاء لمن يريدون أن يقولوا له شكراً، حتى في الطائرات يختم المضيفون والمضيفات كلامهم بكلمة (أحسنتم) أي: شكراً.

مثلما يقول الإنجليز (ثانك يو)، والفرنسيون (ميرسي)، والإسبان (قراسيس)، والبرتغاليون (ابرقادو)، والروس (باسيبا)، والصينيون (شي تشي).

وعدة بلدان تستعمل صيغاً مأخوذة من (شكراً) العربية، مثل أهل الهند وباكستان حين يقولون (شكريا)، والإيرانيون (متشكر) بكافٍ فارسية، والأتراك (تَشكّر).

ونعود إلى الحديث عن المشاهدات معتذرين للقارئ الكريم عن هذا الاستطراد الذي ربما لا يعجبه منه ما ليس متعلقاً بالموضوع، ولكنني سمعتها كلها في بلاد أهلها واستعملتها معهم.

يتألف الطعام الذي رأيناه هنا من الأرز واللحم والخبز الذي يخبز على الطريقة الفرنسية، وهو الطويل الجيد، وحتى الشراب رأيت شراباً لم أذقه، ولكنهم ذكروا أنه حلو، يعملونه في أوانٍ واسعة، ثم يغرفون منها للشاربين.

قسم النساء:

وحتى النساء جعلوا لهن قسماً من المطعم منفصلاً بموائده، دون فاصل ما بينهن وبين الرجال من ستارة أو نحوها.

ورأيتهن عدداً لا بأس به كثرة، وقد تسترن باللباس الصومالي التقليدي، وهو الفضفاض الذي يكون فوقه ما يشبه الرداء في أكثر الأحيان، وهو لباس النساء التقليدي في (جيبوتي)، ولا غرو فالجميع ينتمين إلى الجنس الصومالي الشامل.

وذكر الوزير والمستشار أنهن (١٢٠) امرأة من المفكرات

والأديبات، وذوات المقام في الصومال، دعوهن من أجل مقاماتهن الشخصية، وليس لكونهن يتبعن رجالاً مشتركين جئن معهم.

وذكروا أن من بينهن امرأة مطلقة من (محمد فارج عيديد) الشهير الذي مات أثناء الأزمة، وكان قائد فرقة مسلحة، بل فرق مسلحة قتلت عديداً من الناس، وقتل منهم أناس كثير، وقد مات وخلفه ابنه حسين. ونوه الإخوة بحضورها وأمثالها، لأنها كانت من إحدى الجماعات المسلحة في الصومال.

وقد حيا المرافقون بعض هؤلاء النسوة اللاتي هن في الغالب من المتوسطات في السن، أو من الكبيرات، دون وقوف أو مصافحة، وتلك عادة لمرافقنا الوزير الشيخ (موجي)، فهو سريع الحركة، جم النشاط.

وكنت أفضل لو أنه تأنى عند مقابلة بعض الرجال والنساء لأسمع ما يقوله الإخوة الصوماليون الذين لم نجتمع بهم، ولم نستمع إلى ما يقوله أمثالهم في هذا الموضوع الحساس بل المصيري للوطن الصومالي كله.

وبعد أن تجولنا في مطعم واسع، هو واحد من أربعة مطاعم، قال الوزير بدون أن يتشاور مع القائم على المطعم الذي كان معنا فيما يظهر: إننا سوف نتغدى هنا.

وقد نظفوا إحدى الموائد المستطيلة، وجلسنا ونحن تسعة

عليها، فأسرعوا يحضرون بطيخاً أخضر، وهو الجح أو الحبحب عندنا، ويفلقونها، ويقدمون لنا، وهذا البطيخ مستورد من الصومال، لأنه لا يوجد في جيبوتي بالكثرة والرخص التي يوجد بها في الصومال، وكدت أقول للوزير: إننا سوف نتغدى في الفندق حذراً مني من أن يكون القوم لم يستعدوا لغدائنا ونحن تسعة في السيارات الثلاث، ولكنني سكت.



في مطعم آخر في بلدة (عرتة)

ثم آحضروا بقولاً كالفاصولياء معها قليل من اللحم، ومعها الخبز، فأكلنا منها بأطراف أصابعنا، ثم قلت للوزير: ألا يحسن أن نعود للفندق؟

فكأنما فرح بذلك إلا أنه قال: إنهم الآن يطبخون لنا غداءً خاصاً، وقال القائم على المطعم: إن غداءكم يطبخ الآن،

فشكرتهم على ذلك وانصرفنا.

مقر المؤتمر:

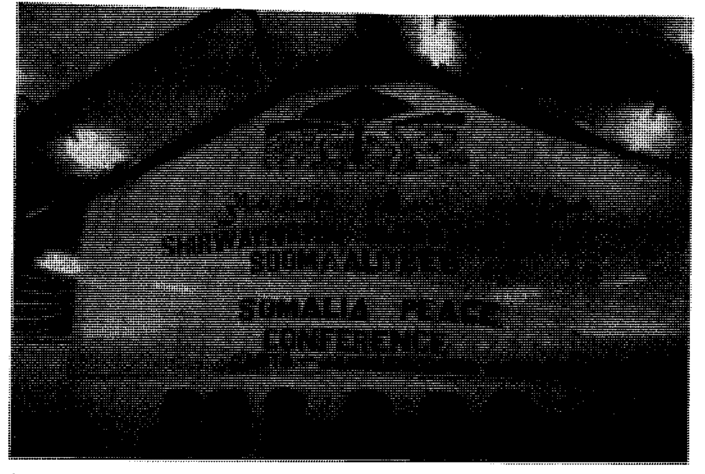
سرنا مع شوارع البلدة غير الواسعة، حتى وصلنا ميداناً واسعاً في حاشيتها، والمراد بذلك الفراغ الواسع الخالي من الأبنية، فوجدناهم قد نصبوا فيه خيمة لا يمكن لأحدنا أن يتصورها إلا إذا رآها، لأنها واسعة بشكل غير معتاد، حتى إنهم وضعوا فيها أكثر من ألفي كرسي للمؤتمرين، لم تشكل كل ساحتها، بل إنها لم تشغل إلا جزءاً منها، لأن أمام الصفوف من تلك الكراسي فراغاً بعده المنصة الرئيسية، ثم فراغ بعده عدة غرف في الخيمة بمثابة المكاتب، أو أماكن اجتماعات اللجان، وكلها مكيفة تكييفاً جيداً، ومدت فيها مكبرات الصوت بطريقة فنية.

وكنت ظننتهم أحضروها من أحد الأقطار الأوربية التي تعتني بالخدمات الدولية، ولكنهم ذكروا أنهم أحضروها من دولة الإمارات العربية المتحدة.

ومجرد التفكير في نقلها، وهي من أكثر من طبقة، أي إنها ليست من قماش الشراع وحده، بل لها بطانة جيدة.

ولها أبواب محكمة بعضها مغلق وبعضها عليه حراس أشداء، بحيث لا يدخل فيها إلا المأذون لهم بالدخول، وفي واجهة الخيمة أمام المؤتمرين وخلف المنصة الرئيسية كالعادة لافتة المؤتمر

مكتوبة بثلاث لغات، إحداها وأعلاه هي العربية (**مؤتمر السلام الصومالي**) وهي في الأعلى أسفل منها بلغتين، إحداهما الفرنسية، لأنها لغة الدواوين في جيبوتي.



لافتة مؤتمر السلام الصومالي بثلاث لغات أعلاها العربية

وذكر الإخوة أنهم اضطروا إلى إحضار هذه الخيمة التي هي قاعة اجتماعات ضخمة، لأنه لا توجد في جيبوتي قاعة اجتماعات تكفي عدد المجتمعين الكثر.

ولم يكن المؤتمر في حالة انعقاد عندما وصلناها، وكانوا وضعوا التحدث إلى المؤتمر في برنامج زيارتنا، ولكن ذلك سيكون يوم الاثنين أو الثلاثاء كما أخبرونا به.

العودة إلى العاصمة:

عدنا إلى العاصمة جيبوتي مع الطريق الذي جئنا منه، إلا أننا فوجئنا أن بعض الأشخاص قد وضعوا حجارة تسد الطريق، وأحرقوا إطاراً من إطارات عجلات السيارات، مما أوقف السير، ورأينا فرقة من الجيش أو الشرطة قد حضرت، وقد أوقفت السيارات القادمة والذاهبة، فصار الجنود يزيلون الحجارة، وسيارة ماء تطفئ النار.

وذكروا أن هذه المنطقة أهلها مشاغبون للحكومة، لأنهم معارضون لها، ثم سلكنا الطريق بسلام إلى الفندق.

وقد تبين فيما بعد أن هذا العمل جزء من عمل للمعارضة السياسية للحكومة التي لم يعد لها من العمل الآن إلا مثل هذه الأمور التافهة، وكانت البلاد قد عانت قبل سنتين أو ثلاث من معارضة مسلحة، قتل فيها أناس وسجن آخرون، وخربت مناطق نائية من البلاد التي كان الجدب وقلة الأمطار، وضعف التفكير، وإمكانية التغيير قد أصابها ذلك كله من قبل بعدم التقدم، والبقاء على ما كانت عليه من قديم الزمان.

هذا وقد عدنا إلى الفندق، فزارنا عدد من الإخوة الصوماليين وغيرهم، وانتهزنا الفرصة للحصول على معلومات عن الوضع السياسي والاجتماعي الحالي في الصومال.

وكان منسق العمل بين مكتبي رابطة العالم الإسلامي وهيئة الإغاثة الإسلامية الأستاذ (كرم محمد كرم) هو نجم هذه الاجتماعات لنشاطه وإلمامه بالشؤون الصومالية، وهو سوداني من قبيلة الشايقية المعروفة في الصومال.

وكان في غرفتي جهاز كبير للتلفزة على الأقمار الصناعية، وأكثر القنوات الفضائية فيه هي العربية، ليس معها إلا القناة الأمريكية الإخبارية (سي إن إن)، وإحدى قنوات التلفاز الفرنسي وهي رقم (٥).

وقد مكننا ذلك من مشاهدة الحوادث الواردة في الأخبار، وذلك من القنوات العربية التي من أهمها (قناة الجزيرة) في قطر.

كما شاهدنا الأخبار من تلفاز بلادنا، وحرصاً على ما قد يكون فيها من أخبار داخلية، وإلا فإنها ليست مفضلة للمشاهدة الآن، لكونها وقفت عن التطور، وملاحقة المستجدات من التلفاز في العالم منذ نحو عشرين سنة.

هذا ولم أكتب في هذه الليلة في مفكرتي شيئاً، وذلك مثلما فعلت وأحسست به منذ وصولنا إلى جيبوتي، مع وجود الفراغ والراحة، ولا أدري السبب في ذلك.

يوم الأحد: ٢/ ٣/ ١٤٢١هـ - ٤/ ٦/ ٢٠٠٠م

زيارة القائم بالأعمال في سفارتنا:

كان البرنامج يتضمن حفلة غداء في السفارة السعودية هذا اليوم الأحد، وقد استقبلنا في المطار ممثل السفارة عند سلم الطائرة، كما زارنا أمس أحد المسؤولين فيها.

ولكن القائم بالأعمال في السفارة الأستاذ (عبد الملك محمد فضيل شيناوي) زارنا في هذا الصباح مؤكداً موعد الغداء، ولبحث بعض الأمور المتعلقة بمهمتنا، مع أننا كنا قد حصلنا على معظم المعلومات التي أردناها من مصادر أخرى، ولكنه جزاه الله خيراً أطلعنا على معلومات السفارة في هذا الصدد، واعتذر عن السفير بأنه ليس موجوداً في جيبوتي، بل هو يقضي إجازة له معتادة ربما خارج بلادنا حسب ما يظن.

فشكرته على زيارته، وعلى دعوته والمعلومات التي أفادنا بها، وبخاصة أنه قد مضت له ثلاث سنوات وهو يعمل في جيبوتي.

وزارة الشؤون الدينية والأوقاف:

كانت الفقرة المهمة في ضحى هذا اليوم هي زيارة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ومقابلة الوزير، وبعض الأمور التي ترغب الوزارة في أن تتعاون مع رابطة العالم الإسلامي بشأنها.

وقد رأينا الشوارع مليئة الآن في العاشرة بعدد من الناس، وهم الشعب الأصيل الذي أقرب الشعوب إليه مظهراً الشعب الصومالي، ورأيت عجباً في تستر النساء، والمراد بذلك ستر أجسامهن عدا الوجه والكفين، أما الرأس فإنه لا بد من أن يكون مستوراً.

ومما يجدر ذكره أن اليوم، وهو الأحد، يوم عمل في جيبوتي، والعطلة الأسبوعية عندهم هي في يوم الجمعة.

وصلنا الوزارة التي لم يكن مقرها بعيداً، ولم نجد أحداً في استقبالنا عند بابها من أجل إرشادنا إلى مكتب الوزير، وليس رغبة في الاستقبال، فلم ندر أين نذهب، ولكن أحد المرافقين الصوماليين قال عندما وقفنا: تفضلوا، إن مكتب الوزير في الطابق الثاني، ثم ذهب وأحضر شخصاً من (البروتوكول) أي المراسم كما قال، فوقف هذا الموظف في أعلى الدرجة، وكنت في أسفلها، وأشار أن تعالوا - كما تدل إشارته - فقلت: حتى يصل إلينا، ويتقدمنا كالمعتاد.

دخلنا إلى مكتب الوزير في الطابق الثاني، فوجدنا مكتبه فيه ثلاث سكرتيرات من المتسترات اللواتي عليهن ما يشبه الرداء فوق ثيابهن.

وقد استقبلنا الوزير مرحباً، ودخلنا في غرفة المكتب

فوجدنا أمامها مائدة اجتماع، جلسنا عليها، فأخذ الوزير يتكلم بسرعة وتدفق كما عرفنا ذلك منه من قبل، فكان مما قاله: إن وزارتنا هذه وزارة جديدة، تحتاج إلى مساعدة في أكثر الأشياء حتى في الأثاث والكتب، لأننا أسسنا مكتبة الوزارة، نريد أن تكون مرجعاً للباحثين في الأمور الدينية، ولكننا لا نملك الموازنة التي نحتاجها لشراء الكتب، قال أيضاً: والأهم من ذلك أن أئمة المساجد الذين رتبناهم فيها ليست لهم رواتب، ويحتاجون إلى رواتب، وكذلك نحتاج إلى ترميم أربعة مساجد.

ثم تكلم على عدة أشياء.

وقد رددت عليه شكره على الترحيب، وقلت له فيما يتعلق بمساعدة الوزارة التي يمكن لرابطة العالم الإسلامي أن تقدمها فإنها في عدة أمور:

أولها: أن نرسل إليها مجموعة من الكتب التي تصدرها الرابطة، والتي توزع عن طريقها، وأن نرسل إليها بصفة مستمرة دوريات الرابطة الشهرية والأسبوعية وسلسلة الكتب التي تنشرها وأهمها: دعوة الحق

وثانيها: يمكن للرابطة أن ترسل مساعدة قليلة لمرة واحدة للمساعدة على تأثيث وتجهيز الوزارة وفق ترتيب خاص نستطيع أن نتفق معكم عليه.

ثالثها: بالنسبة إلى ترميم المساجد، فإننا مستعدون بكل تأكيد للإسهام في ترميمها مهما كان عددها، ولكن ذلك يتطلب تعيين لجنة مشتركة من الرابطة والوزارة، تطلع على المساجد المحتاجة للترميم، وتعرف ما تحتاج إليه من المال، ثم تقرر ما تستطيع الرابطة أن تسهم به من ذلك.

رابعها: من جهة أئمة المساجد، فإن الرابطة لا تستطيع أن تجري مرتبات شهرية منتظمة لهم، لأنها تعمل على مستوى العالم، ولا يمكنها أن تعمل كل ما يطلب منها في هذا الصدد، وإن كانت تود ذلك، ولكن حدث في بعض البلدان أن تعطلت المساجد، لأن أئمتها صاروا يتركونها يبحثون عن لقمة العيش لهم ولأولادهم، وبعد أن اقتنعت الرابطة بذلك رصدت لمساعدتهم مبالغ مالية محددة، توزع عليهم بوساطة دور الفتوى، أو الجمعية التي يتبعونها من دون الالتزام بدفع ذلك شهرياً، وقد تعمل الرابطة لكم مثلهم إذا بحثت الأمر ووجدت أنه تنطبق عليه مثل تلك الحالات.

هذا وقد شكر الوزير ذلك، وقدم طلبات مكتوبة محددة بالأشياء التي تحتاجها الوزارة.

هذا وكان من المقرر أن نقابل رئيس جمهورية جيبوتي بعد الانتهاء من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ولكن الوزير (موجي) أخبرنا أن هناك شيئاً في الموعد، ثم زارنا في الفندق بعد أن عدنا إليه، وقال: لقد تأجل موعد مقابلة رئيس الجمهورية من اليوم إلى

غدٍ، وذلك لانشغال الرئيس في أمور سياسية داخلية مهمة.

مأدبة السفارة السعودية:

حان موعد الذهاب إلى السفارة السعودية لتناول طعام الغداء الذي من المقرر أن يكون في الساعة الثانية، وقد أرسلت السفارة سيارة منها انضمت إلى السيارات التي معنا.

وذهبنا إلى الفندق الواقع في المنطقة الراقية من مدينة جيبوتي، ويسمونه (الجزيرة) إلى جانب آخر من هذا الحي الجيد يعرف بأنه حي السفارات، وقد أقيمت المأدبة في بيت السفير الذي يقع على شاطئ البحر في موقع جميل هادئ.

استقبلنا في السفارة القائم بالأعمال الأخ عبد الملك محمد فضيل، وبقية موظفي السفارة الذي رحبوا بنا ترحيباً حاراً، ووجدنا جمعاً من السعوديين والجيبوتيين الذين دعتهم السفارة، ومنهم مدير المعهد السعودي الإسلامي الشيخ أبو الحسن حمود صوان، والملحق الديني الشيخ فهيد البرقي.

قدموا أول الأمر القهوة والتمر الجيد، وعصير الفاكهة، ثم ذهبنا إلى المائدة التي وجدناهم جعلوها قسمين، أحدهما وهو الرئيسي مائدة عليها الكراسي التي تتسع لنحو (١٢) شخصاً، والثاني مائدة مفروشة على الأرض على طراز الموائد العربية السعودية، جلس عليها بقية المدعوين، لا يفصلهم عن الأولى إلا

كونها على الأرض.

وقد كانت المائدة اشتملت على الأكلة الرئيسية المعتادة في جيبوتي، وهي الأرز الساذج الذي يوضع فوقه جدي صغير - وهو ابن العنز إن لم تكن تعرفه -، ولكنها ضمت أيضاً أنواعاً منوعة من الأطعمة، ومنها الأسماك ولحم البقر والخضراوات والأرز والبطاطس، والخضراوات هنا شحيحة، لكونهم يستوردونها من إثيوبيا بالقطار، وهو أسبوعي لا يصل إلا مرة واحدة في الأسبوع، وقد تأتي مع سيارات الشحن التي أغلبها من ناقلات المحروقات، ولكن يتلف قسم منها قبل أن يصل إليهم.

كانت المائدة حافلة بما لذ وطاب من الأطعمة، وكانت حافلة أيضاً بما لذ للسمع وطاب من أحوال هذه البلاد الجيبوتية الشقيقة.

وعند انصرافنا من مأدبة السفارة مررنا بالمعهد السعودي، وكان مديره ذكر لي أن فيه (٢١٥٠) طالباً، وهذا عدد كبير، فسألته عن المتخرجين فيه هل يجدون وظائف مناسبة بعد تخرجهم؟ فأجاب بأن بعضهم تتاح لهم فرصة مواصلة التعلم في الجامعات السعودية، حيث تعترف بشهادات هذا المعهد، وبعضهم يبقى متعطلاً.

فقلت: إنه ينبغي أن توجد دورة تدريبية أو تأهيلية للمتخرجين

يدرسون فيها قدراً من اللغة الفرنسية التي تؤهلهم للعمل في الشركات التي أكثرها فرنسية، أو أن تفتح لهم دورة في المعهد للأعمال المهمة في هذه البلاد، كالسباكة والحدادة والنجارة والكهرباء والتبليط، وذلك استكمالاً لما فعلته المملكة من توفير الدراسة لهم.

وفد المحاكم الشرعية:

زارني في الفندق بعد صلاة العصر مباشرة أخونا وزميلنا السابق الشيخ محمد أحمد نور الصومالي الذي تقدم ذكره، وكان موظفاً عندي في الأمانة العامة للدعوة الإسلامية في الرياض عندنا قبل أن انتقل إلى رابطة العالم الإسلامي، وهو من أثق بكلامه وحسن تقديره للأمور، وأخبرني أنه أصبح كندي الجنسية، وسبب ذلك أنه كان لديه ابن مريض في رأسه، لأنه كان سقط وهو صغير من مكان مرتفع، فأثر ذلك فيه فعالجه في المملكة العربية السعودية عندما كان مقيماً فيها، ثم حصل على شهادة بأنه لا بد من علاجه في مستشفى متخصص في علاج المخ في الولايات المتحدة، فحصل على سمة دخول إلى أمريكا، ودخلها بالفعل، ولكن الإقامة التي تمهد للحصول على الجنسية في أمريكا فيها صعوبة عليه، فدخل إلى كندا دون أوراق فأدخلوه لاجئاً سياسياً، لأن بلاده ليست فيها حكومة، ثم درسوا حالته

ومنحوه الإقامة في كندا، ثم الجنسية الكندية.

قال لي الأخ محمد نور: إن الكنديين يعاملون الإنسان بما يستحقه من الإنسانية، حتى إنه لا توجد في البلدان الإسلامية معاملة مثل معاملتهم، ولذلك يعتبر من دخل إلى كندا كمن حصل على الجنسية فيها، لأنهم لا يرحلونه، ولو لم يمنحوه الإقامة.

ومع ذلك ذكر لي أنه يود العودة إلى الصومال ليسهم في إعادة النظام والإعمار فيها، رغم كونه يحمل الجنسية الكندية، وذكر أن العيش في كندا ممتاز، لولا ما يتعلق بالأولاد، وبخاصة البنات من تربية بعيدة عن التربية الإسلامية.

وقد بحثت مع الأخ الشيخ محمد نور بعض القضايا، ومنها معلومات مفصلة من أعضاء المحاكم الشرعية الذين من المقرر أن يحضروا إلي بعد مغرب اليوم.

وقد سمعنا ونحن في بلادنا عن هذه المحاكم الشرعية التي تألفت في الصومال بعد عدم وجود الحكومة التي ترد الظالم عن الظلم، ويفترض أن تنصف المظلوم ممن ظلمه.

فصاروا وهم يركنون إلى القبائل الصومالية ذات النفوذ يقيمون الحدود، ويردون الظالم عن ظلمه عن طريق نفوذ القبائل، وهم من المشايخ طلبة العلم، ولكنهم يستندون إلى نفوذ القبائل في تنفيذ أحكامهم الشرعية.

وهذا من عجائب الصومال في ظل الفوضى السياسية التي ضربت أطنابها البلاد.

ومما يجدر ذكره أن مرشدهم، ويعتبر بمثابة رئيسهم، هو الأخ الشيخ عمر الفاروق الذي تخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وفيهم عدد مثله تخرجوا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة أيضاً.

وقد حضر منهم تسعة، وكان معهم أيضاً بعض الكتاب والمرافقين من طلبة العلم، وهم:

١- الشيخ عمر الفاروق.

٢- د. حسن شيخ محمد، رئيس المحاكم.

٣- حسن عنتمي، رئيس محكمة حربالي وعضو مجلس الشورى.

٤- الشيخ طاهر جوتاله، نائب رئيس المجلس.

٥- الشيخ علي حاج يوسف، داعية سابق للرابطة، وأحد الزعماء الصوماليين.

٦- الشيخ علي محمد وجير، أمين عام مجلس القضاء.

٧- الشيخ محمد حاج يوسف، المدير السابق لكتب الرابطة في الصومال وبنين.

٨- الشيخ عمر معلم نور، رئيس المحاكم في صمر.

٩- الشيخ أحمد بلي حسن (أجاس درر ورئيس المحاكم).

كما حضر الاجتماع الأستاذ كرم محمد كرم، مدير مكتبي رابطة العالم الإسلامي وهيئة الإغاثة الإسلامية في جيبوتي، والأستاذ عبد الرحمن سمنتر مدير مكتب الرابطة في مقديشو.

وقدم الأستاذ علي وجير العلماء، وأوضح المجهودات التي يقومون بها في المحاكم لبسط الأمن في مقديشو وما حولها.

رحبت بهم في أول الأمر، وبدأت بالإشادة بمبادرة رئيس جمهورية جيبوتي، وقلت لهم: كنا نشك في المبادرات السابقة لكثرة عدد مؤتمرات الصلح التي عقدت وفشلت، ولكن أسباب النجاح الآن متوفرة - إن شاء الله - وطلبت من العلماء مضاعفة الجهود لما لهم من تأثير في المجتمع الصومالي، ثم أردفت سائلاً عن عمل المحاكم الإسلامية، وهل هم متطوعون أم لهم مرتبات وآلية تنفيذ الأحكام التي تصدر منهم.

أجاب الشيخ حسن شيخ محمد رئيس المحاكم عن هذه التساؤلات، وأفاد بأنهم لا يتلقون مرتبات، كما وصف حالة اضطراب الأمن والنهب التي كانت سائدة في مقديشو، وفي كثير من أنحاء جنوب الصومال، وانبرى العلماء للوقوف أمام المفسدين،

وآزرهم رجال الأعمال بتكوين المحاكم، وتعيين جيش لهم تم اختيارهم بشروط، منها أن يتوفر فيهم الأمانة والاستقامة، ولم يسبق لهم الاشتراك في عمليات السلب والنهب، وأفاد بأنهم بدؤوا بتنفيذ الحدود، ولديهم سجن يحفظون فيه المجرمين، ويقومون بتأهيلهم، وكل هذا وضع أعباء عليهم.

وقد سألتهم كيف تأتى لهم العمل، وهم ليس لديهم إمكانات؟ خاصة وأنه لم يصل الرابطة من المحاكم خطابات تطلب الدعم. وقد أجاب العلماء بأنهم جهزوا خطاباً يتضمن مطالبهم للدعم، وتوفير الكتب والمراجع العلمية للمحاكم.

هذا وقد تسلمنا طلباً للمساعدة كانوا أعدوه.

بعد ذلك أعطيت الفرصة للشيخ محمد حاج يوسف مدير مكتب الرابطة في الصومال سابقاً الذي أسهب في كلامه، وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله: نشكركم لما تجشمتم من مشاق للحضور، ونحن نعلق آمالاً كبيرة على حضوركم، والسبب أن المملكة والرابطة ظلوا يعملون في الدعوة بالصومال قرابة (٤٠) عاماً، مما جعل الوعي الديني للإسلام الصحيح ينتظم أهل الصومال، ثم أردف قائلاً: إن الوضع الحالي في الصومال خطير، وإن هناك من الدول من يتربص به الدوائر، ونحن نعرض عليكم هذه المشكلات، لأنكم أكثر تأهيلاً من أيٍّ كان، لخبرتكم الطويلة في شؤون العالم الإسلامي، وبهذا التأهيل

والدراية الواسعة نرجو أن تنقل الصورة عن الصومال للمملكة، فإننا نخشى على الصومال أن تضيع كما ضاعت الأندلس، وهنالك من يقول إن لم تنجح المبادرة فسيكون احتلال للصومال، وأضاف الشيخ محمد حاج يوسف بأنه - بعون الله - إذا قامت دولة فإن الصومال يحتاج إلى تضامن ومساعدة العالم الإسلامي والدول العربية لبناء الصومال، ولحماية مؤسساته الهشة في البداية.

ثم تحدث الشيخ عمر الفاروق، وركز في كلامه على أهمية قيام دولة إسلامية تحتكم إلى الشرع، لحل مشكلات الصومال. وأمّن على حديثه الأستاذ علي وجير الذي ذكر بأنه هنالك تهميش للعلماء في تمثيلهم بالمؤتمر، بينما أعطيت المرأة تمثيلاً وحضوراً كبيراً، وكذلك هنالك تيار للعلمانيين يريدون أن يهمش دور المحاكم والعلماء والإسلاميين في المؤتمر، وطلب من المملكة: متابعة المؤتمر وتوجيهه، وطلب مني إثارة الموضوع مع المسؤولين، فقلت: إن أهل الصومال أدرى بمشاكلهم الداخلية، ولا نرى أن ينسب إلى العلماء تعطيل المؤتمر، وعلى العلماء الدعوة للعلمانيين وغيرهم بالحكمة والإقناع ليقفوا مع بعضهم لإنجاح هذا المؤتمر.

والمشايخ الذين حضروا هم من قبائل رئيسية، فجلسنا معهم جلسة طويلة امتدت نحو ساعتين ونصف.

وقد شكوا من عدم دعوتهم إلى المؤتمر، وكنت سمعت من

قبل ذلك أن منظمي المؤتمر قصدوا عدم دعوتهم، ربما لأنهم ينتمون إلى قبائل حضر رؤساؤها، كما إنهم لا يستندون إلى مجموعات منظمة ذات مجهود شخصي، وإنما يعملون تحت نفوذ القبائل، وذكر المشايخ أنهم حضروا بأنفسهم لأنهم لا يريدون وهم الحراس على تنفيذ الحدود أن تعمل حكومة غير إسلامية في الصومال.

وذكروا مثل ما ذكره غيرهم من كون الصوماليين بأغلبيتهم الآن يؤيدون حكومة إسلامية، لأن هذه المحن التي مرت بالصومال زادت الشعور الديني عند الناس، إذ أفسحت المجال للعاملين في الحقل الإسلامي.

وقد نصحتهم في حديثي معهم بأن لا يتظاهروا بكونهم ضد الذين قاموا على تنظيم المؤتمر، فيعتقد بعض الناس أنهم وهم رجال العلم والدين يسعون إلى تعطيل إنشاء الحكومة في الصومال، وقلت لهم: إن واجبكم أن تنصحوا الجميع بما تعتقدون أنه الصواب، من وجوب الأخذ بالدين وليس الخروج منه، وإن الصوماليين جربوا الحكومات غير الدينية، بل إنهم جربوا حتى الحكومة التي تتظاهر بالاشتراكية أو الشيوعية في فترة من عهد حكم الرئيس السابق زياد بري، فكانت نتيجة ذلك هذه الفوضى الحاضرة، فيجب عليهم أن يعملوا على إنشاء حكومة إسلامية، ولكن إذا اتجه أغلب المؤتمرين من المؤتمر إلى إنشاء حكومة

وطنية، فيجب عليهم ألا يعارضوا إنشاءها من أجل الخروج من الفوضى التي تضرب البلاد الآن، ويمكنهم أن ينصحوا القائمين على الحكومة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقلت لهم: إنه يجب أن تخبروا الذين لا يعرفون من الساسة ورجال المال والأعمال أن الإيمان بالله هو نعمة لا توازيها نعمة، لأنه يجلب للمرء طمأنينة القلب، وسكينة النفس، وذلك لا يشترى بالمال ولو كثر، ولا بالجاه في الدنيا ولو عظم، وضربت لهم الأمثال على ذلك بما عرفته من حال أقوام عديدة في أركان العالم.

وفي الختام أعطونا نبذة فيها التعريف بالمحاكم الشرعية، رأيت نقلها هنا لأهميتها التاريخية، لأنها نشأت في جو الاقتتال والاضطراب، وضياع الحكومة، وفوضى الإدارة.

نبذة عن كيفية إنشاء المحاكم الإسلامية الشرعية في الصومال والتحاكم بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)

التحاكم بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) كان مذكوراً أو مكتوباً في أول دستور صومالي في أوائل الستينات، بل كان مكتوباً فيه أنه مصدر جميع القوانين التي تطبق في الصومال، ويجب أن يكون مصدرها من الكتاب والسنة، ومستنبطة منهما، وكان يوجب على الهيئات والمدارس الخاصة تدريس من فيها التربية الدينية.

ومع هذا كله لم تطبق الشريعة الإسلامية في البلاد إلا في القليل القليل، مثل النكاح والطلاق والحقوق الزوجية والإرث.

أما في الأحوال المدنية والمعاملات، وتنفيذ الحدود، فلم يطبق منها شيء يذكر.

وكل الجبهات الشعبية والحركات الإسلامية كانت تكتب بحروف بارزة أن الشريعة الإسلامية هي دينها ونظامها ودستورها.

ولكن قد تبين فيما بعد أن هذه كانت مختلقات ومفتريات لكي تكون بضاعتهم قابلة للبيع من قبل الصوماليين.

وربما كانت هذه هي السبب الذي أدى إلى الهزة العنيفة التي حصلت للشعب الصومالي، ومازال يعيشها حتى اليوم.

ولقد استفاد الإسلاميون والدعاة والمسلمون جميعاً مما حصل في البلاد من انهيار الدولة المركزية، وانعدام النظام، وتعميم الفوضى في كل القطاعات العامة والخاصة.

وهذه الفائدة - إن صح التعبير - هي أن الدعاة ورجال الدين حصلوا على فرصة ذهبية، وضالتهم المنشودة، ألا وهي حرية نشر الدين والحلقات الدراسية في المساجد وغيرها، وإلقاء الخطب والمحاضرات الدينية، وإنشاء المدارس الدينية الكثيرة المختلفة، وهذا ما كنا نعتقده، ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك، لأن

الفوضى وعدم النظام وانتشار الفساد في كل مكان قد وجدت - هي الأخرى طريقها إلى الحرية التامة - مما سمح للمجرمين والفسقة وقطاع الطرق بارتكاب الجرائم والفضائح في كل مكان، دونما خوف ودونما تدخل.

فإذا وضعنا ما كان يحققه الإسلاميون والدعاة من مكاسب دينية بجانب ما يؤديه الفساد في البلاد من قتل وغصب وسرقة ونهب وسطو وخوف ورعب، فربما يميل الميزان إلى كفة الفساد.

ونتيجة لذلك صارت الحياة مستحيلة حيث كان الناس يعيشون في خوف ورعب شديدين، وهذا مما أدى إلى تكوين المحاكم الشرعية؛ حيث تكررت اجتماعات العلماء والمثقفين ورجال الأعمال وأهل الحل والعقد، لإيجاد الحل لمشكلة الفساد الذي عم في هذه البلاد الإسلامية، فتكونت المحاكم الشرعية في العاصمة أولاً، ثم انتشرت إلى المناطق الأخرى، ولقد تكونت المحاكم في أول مشوارها كأساس قبلي هذا كان مقصوداً حيث كانت الثقة معدومة بين القبائل الصومالية، وعندما كثرت المحاكم وتسابقت القبائل لإنشاء المحاكم الشرعية حان وقت انضمام هذه المحاكم بعضها إلى بعض؛ حيث تكون المجلس العالي للمحاكم الشرعية الذي يرأس جميع المحاكم الشرعية، وتكونت لجان قضاء مشتركة وقوات مشتركة، وتم بفضل الله

توحيد جميع تلك المحاكم التي يرأسها اليوم رجل واحد.

دور الحركات الإسلامية وعلاقاتها مع المحاكم

عندما قررنا تكوين إنشاء المحاكم الشرعية اتصلنا بمسؤولي الحركات الإسلامية في البلاد كي يكونوا عوناً لنا لهذا العمل الإسلامي العظيم، لكننا فوجئنا للأسف الشديد بما لم نتوقع به، وهو أن هذه الحركات بدأت تشرح لنا أهدافها وأفكارها ومنهجها، وتذكرنا ما قامت به من أعمال دعوية جبارة، وأن الطريق بعيد جداً، وإننا لسنا أصحاب خبرة في هذا المجال، وأن إقامة إنشاء محاكم شرعية يستحيل في الوقت الحاضر، وأن بعضهم يعملون في الحركات الإسلامية لمدة تتراوح بين ٢٥-٣٠ سنة، ولم يحلموا يوماً من الأيام في إنشاء المحاكم الشرعية، فكيف تفكرون شيئاً كهذا في الوقت الحاضر، ولما يئسنا منهم شرعنا في تنفيذ المشروع، ونجحنا فيه نجاحاً لم يتوقعه أحد منهم، ثم بدؤوا يقولون نعطيكم شهوراً عدة، أو بالكثير سنة وسنتين، وستنتهي هذه المحاكم.

ولكن بفضل الله بدأت هذه المحاكم تتقوى يوماً بعد يوم، حتى وصلت إلى حد يستحيل التراجع عنه، ثم بدؤوا يقولون نحن قد مهدنا لكم الطريق قبل تكوين المحاكم، وهذه التي تجنونها من البذور التي بذرناها نحن، هؤلاء هم زعماء وشيوخ الحركات الإسلامية، ولكن بحسن الحظ معظم الشباب الذين ينتسبون إلى

الحركات الإسلامية انضموا إلى المحاكم الإسلامية بدون إذن من زعمائهم، وحكموا على زعمائهم أن أفكارهم عقيمة، وأن الشيء الوحيد الذي تخصصوا فيه هو إشعال الخلافات، وتكفير بعضهم بعضاً، وأنهم لن يحققوا شيئاً ملموساً للمسلمين، ولذلك صارت الحركات الإسلامية اليوم اسماً يتاجر به بدون محتوى.

تمويل المحاكم الإسلامية:

يتم تمويل المحاكم الإسلامية عن طريق جمع تبرعات يقدمها رجال الأعمال الصوماليين، وعن طريق الزكاة، ولا تتلقى المحاكم الشرعية أية مساعدات خارجية حتى هذه الساعة، ولو كنا نجد مساعدات خارجية لعمّ الحكم الإسلامي جميع المناطق الصومالية، وكنا نتمكن من بناء حكومة إسلامية بلا شك.

الجهات والدول التي اتصلت بنا للمساعدة:

تمت زيارة وفد النظام الإيراني، فطلبوا إرسال عدد (٣٠) قاضياً لكي يتدربوا في إيران، وإرسال (٤٠) طالباً يدرسون في الجامعات الإيرانية حتى يتخرجوا منها قضاة، وطلبوا منا كتابة المراجع والكتب التي تحتاجها المحاكم، ولكن رفض المجلس الأعلى للمحاكم في جلسة عقدها لهذا الشأن، رفضوا كل المساعدات التي وعدتها دولة إيران للمحاكم، وقالوا كيف نقبل هذه المساعدات ونحن نختلف مع الإيرانيين في أصل العقيدة.

سبب تأسيس المحاكم

ومعلوم لدى الحكومات الإسلامية بعد انهيار النظام السابق في بلادنا، والذي يرأسه سياد بري، وقع السلاح في أيدي الشعب، وهو الأمر الوحيد الذي سبب انعدام الأمن والاستقرار، وانتشار الفوضى العارمة، وظهور مليشيات همجية بالسلاح تزهق الأرواح، وتنهب الأموال، وتهتك الأعراض، وتضع حواجز مصطنعة في الطرق والممرات المؤدية إلى الأسواق والأماكن التجارية، من جراء ذلك وما صاحبه من التخريب والتدمير الشامل تأسست المحاكم الإسلامية الشرعية، وقد أعطى الشعب ولاءه وتأييده بالمال والنفس، ما عدا أصحاب الأهواء والأغراض الخاصة الذين تهيمن على أفكارهم الدكتاتورية، وعقلية المدافع والحكم بالنار والحديد.

إنجازات المحاكم الإسلامية

تقوم المحاكم الإسلامية بفض المنازعات وصلاح ذات البين، ومحاكمة المجرمين الذين تورطوا في أعمال القتل والنهب وإلقاء القبض على قطاع الطرق، وأخذ الحواجز على الشوارع وحراسة بيضة المسلمين.

هذا وقد انتشر الفساد الأخلاقي في البلاد على نطاق واسع، وانتشر السفور والخلاعة والعري، كما انتشر الرقص والصورة

المثيرة، وكل ما من شأنه أن يدعو إلى الفحش، والذي تنشره الهيئات التبشيرية لتنصير أبناء المسلمين من وراء ستار إغاثة إنسانية مستغلين لهذه الفرصة، لهذا السبب وحفظاً لدين الأمة، وتراثها الإسلامي، تقوم المحاكم الإسلامية بالتربية، وتقويم المجرمين في داخل سجونها، طالما لم يتورطوا في أعمال القتل، وإطلاق سراحهم إذا استقاموا، هذا وقد اكتسبت المحاكم بحمد الله شعبية واسعة لا نظير لها في الوطن.

رجال المحاكم

١- رجال المحاكم هم: العلماء والسلاطين المعروفون لدى القبائل.

٢- رجال القضاء المشهورون لدى الجميع.

٣- المثقفون، ومنظمة الضباط الذين لم يساهموا في الحروب الأهلية في الوطن.

٤- الموظفون في مختلف الوزارات، والذين حيرتهم القوانين الوضعية، ثم يريدون الاحتكام إلى كتاب الله العزيز وسنة رسوله (ﷺ) المطهرة.

ما حققت المحاكم الإسلامية الشرعية في البلاد:

نجحت المحاكم الشرعية في تحقيق:

١- إقرار الأمن والسلام في مقديشو العاصمة ونواحيها.

٢- تطبيق الشريعة الإسلامية، وتنفيذ شرع الله في الناس بناء على ما ورد في الكتاب والسنة.

٣- اتجاه جميع سكان المناطق التي فيها المحاكم الشرعية إلى المحاكم، لفصل خصوماتهم، والتحكيم فيها بينهم.

٤- بناء قوة عسكرية إسلامية مدربة تعمل لأهداف المحاكم الشرعية.

٥- هيبة الناس من المحاكم؛ حيث يحسب لها المجرمون ألف حساب.

٦- تحقيق ما لم يتحقق في الصومال في يوم من الأيام، ألا وهو عودة الناس إلى شريعة الله وكتابه.

٧- صارت المحاكم الشرعية اليوم الجهة الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها، أو الجلوس فيها لحل مشاكل الأمة.

أهداف المحاكم الشرعية:

١- تطبيق الشريعة الإسلامية بحذافيرها مع حكمة وحذر بالغين.

٢- إصلاح ذات البين، وحل مشاكل الناس وما حصل بين القبائل.

٣- محاربة الفساد والمخدرات في البلاد.

٤- بناء دولة إسلامية في المستقبل القريب إن شاء الله.

٥- إقرار الأمن والسلام في جميع مناطق البلاد.

٦- تعليم الناس دينهم وعقيدتهم الصحيحة.

أهداف أوربا

تشويه المحاكم الشرعية في الخارج وفي أوربا خاصة

قالوا لنا: أنتم أصوليون - وهذه الكلمة - يفسرونها في أوربا وأمريكا كيفما يشاؤون، قلنا لهم: هل كان مرادكم بهذه الكلمة أننا نتبع كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) ؟.

قالوا: لا، أنتم إرهابيون ومتعطشون لإراقة الدماء، قلنا لهم: هاتوا برهانكم بأننا اتصفنا بأننا إرهابيون.

قالوا: برهاننا بأنكم تعلمون أبناءكم وأطفالكم تعليماً إسلامياً، وتربونهم كبنية أساسية، وتمارسون السياسة من أعلى، وسوف تنعدم هذه الفجوة، وتتضيق يوماً بعد يوم حتى تقدرون على سيطرة الأمور سيطرة كاملة، قلنا لهم: وماذا يضيركم ؟ فهذا أنتم في أوربا ونحن في شرق إفريقيا؟ قالوا: نخاف لأمن أوربا في المستقبل البعيد.

هذا الحوار دار بين رئيس المحاكم الإسلامية حسن شيخ محمد عدي ووفدين من اتحاد أوربا وسفير أمريكا في نيروبي المختص بقضايا الصومال وسفير إيطاليا في نيروبي المختص أيضاً

بقضايا الصومال.

أين توجد المحاكم الإسلامية في الوقت الحاضر؟

١- توجد المحاكم في الحاضر في العاصمة مقديشو ولها في مقديشو (١٥) مركزاً.

٢- توجد أيضاً المحاكم الشرعية فيما بين مقديشو وأفجوي، وهي مسافة (٣٠) كم، ولها في ذلك الطريق (٥) مراكز.

٣- توجد أيضاً المحاكم الإسلامية في الطريق الطويل مسافته (١٠٠) كم، وفي مركا نفسها عاصمة المنطقة.

٤- توجد أيضاً في كل من (قريولي، وبولو مرير، وكنتر وارى)، وكلها في شبيلي السفلى.

٥- توجد أيضاً في كل من متبان - غري عيل - ودو سمريب - وعدادو - وعيل بور - وغل هريري - وجلنسور.

رئيس المجلس الأعلى لتطبيق الشريعة الإسلامية الشيخ حسن الشيخ محمد عدي.

وسألوني عن أحوال بعض المسلمين في العالم، ورأيتهم عرفوا أنني زرت أنحاء العالم، وكتبت كتباً عديدة عن ذلك، فأعطيتهم نسخاً من بعض كتبي المطبوعة في هذا الصدد، كما أهديت لكل واحد منهم كيساً من التمر من نخلات بيتي في مدينة بريدة.

ثم جاء العشاء من أحد المطاعم النظيفة، وذلك وفق ترتيب أحد الإخوة، وهو صحن من الأرز الكثير عليه جدي كامل صغير.

وقد تكرر أكل الجداء في هذه البلاد، ولكنني لم أجد للحمه لذة الجداء عندنا، وربما كان ذلك راجعاً للمرعى، وأن بعض الأشجار الموجودة في بلادنا، وبخاصة أشجار الحمض، غير متوفرة هنا، مع العلم بأنهم ذكروا أنهم يستوردون هذه الجداء من الصومال.

يوم الإثنين ٣/ ٣/ ١٤٢١هـ - ٥/ ٦/ ٢٠٠٠م

أولى الفقرات في برنامجنا هي مقابلة رئيس جمهورية جيبوتي السيد (إسماعيل عمر جيلي)، وذلك في العاشرة والنصف من ضحى هذا اليوم.

ومع ذلك جاء إلينا بعض الإخوة الصوماليين، وبحثنا معهم في بعض الأمور التي كنا لا نزال محتاجين للبحث فيها.

وقبيل العاشرة جاء إلينا في الفندق أخونا ومرافقنا الوزير (موجي درر سمتر) وزير الشؤون الدينية، فصحبنا إلى القصر الجمهوري الذي لم يكن بعيداً عن فندقنا، لأنه في هذا الجزء الجيد من مدينة جيبوتي الذي يسمونه الجزيرة، إلا أنه واقع على شاطئ البحر، ومع ذلك فإنني لم أكد أصدق أن ذلك الذي يقع عليه القصر الجمهوري هو بحر، لولا أنني رأيته متصلاً إلى مسافة بعيدة، ولولا أنني أعرف أنه لا يوجد نهر في جيبوتي، وذلك بأن البحر قد نمت فيه أشجار خضر، بعضها كثيف الأشجار، وبعضه ذو أشجار متفرقة، ولا تكون كذلك إلا في نهر عميق المياه، حتى في النهر فإن بعض الشجر لا ينمو وسط المياه.

أما هذه الأشجار الغريبة، فإنها نامية مزدهرة وبكثافة على مياه البحر الملحة التي هي تحيط بها، بل وتنمو وسط المياه، وقلت لرفقائي: ما أحوجنا إلى أن ننقل مثل هذه الأشجار إلى بحار بلادنا، وحتى الأماكن السبخة من بلادنا التي تكون تربتها ملحة،

وماؤها الملح غير بعيد من وجه الأرض.

عندما دخلنا القصر استقبلنا رئيس المراسم الذي سلم ثم تقدمنا مع قليل من المراسم، بل كل شيء يسير دون تعقيد، فأدخلنا مباشرة إلى قاعة بها مقاعد عديدة، وليس دونها مكاتب، بل هي تفتح على قاعة التوزيع في القصر.

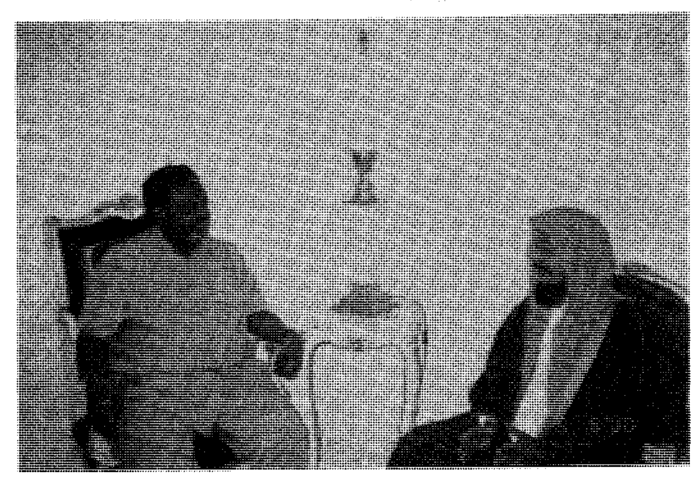
جميع المقاعد التي في القاعة من لون واحد، ما عدا واحداً فإنه من لون أسود، فعرفت أنه مكان رئيس الجمهورية، وقد أجلسوني بجانبه، بل ملاصقاً له، على يساري الأخوان عضوا الوفد، وهما سمير جميل راضي، وطلال عبد العزيز حكمي، وبعدهما مدير مكتبي رابطة العالم الإسلامي في الصومال وجيبوتي الأخ كرم محمد كرم.

وفي المقابل مستشار رئيس الجمهورية الأستاذ (آدم شيخ حسن) الذي وجدناه سبقنا إلى القصر الجمهوري والوزير (موجي)، وواحد لا أعرفه.

ولم نلبث إلا قليلاً من الوقت حتى دخل رئيس الجمهورية هاشا باشا غير متزمت، ولا متكلف، فسلم علي وصافحني، ثم بقية وفدنا.

ثم جلس بجانبي وقال حالما جلس يسألني: هل بقي بلد في العالم لم تزره غير جيبوتي؟ قلت: نعم، بقيت مدينتان داخل بلادنا

السعودية لم أزرهما لأنني اعتبر أنهما وجيبوتي بلادي، وليست كالبلاد الغريبة المجهولة التي يسافر المرء إليها ليعلم ما فيها.

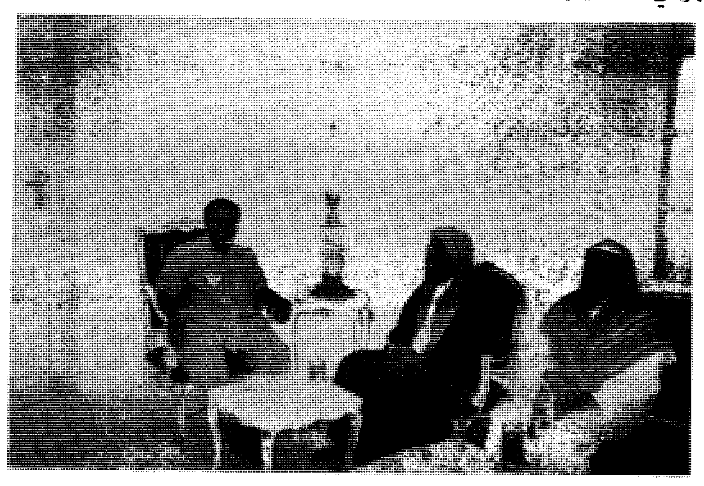


رئيس جمهورية جيبوتي يصغي إلى كلام المؤلف

ثم سادت فترة من الصمت بدأت بعدها بالكلام، فقلت من بين ما قلته: إن رابطة العالم الإسلامي هي منظمة شعبية عالمية، تتمثل الجمعيات الإسلامية في أنحاء العالم في مجالسها التي منها المجلس التأسيسي، والمجلس الأعلى العالمي للمساجد، والمجمع الفقهي وقد اهتمت بالحالة السيئة التي عليها الصومال الآن من الفوضى وعدم وجود الحكومة، فضلاً عما يتبع ذلك من إهمال المرافق العامة، وعدم العناية بالفقراء والمحتاجين، بل عدم معالجة النوازل الطبيعية التي حلت بالبلاد من المجاعة إلى الفيضانات والكوارث الطبيعية الأخرى.

ثم الأفظع من ذلك وهو اقتتال الإخوة فيما بينهم بما لم يستفد منه إلا أعداء الصومال وأعداء الإسلام.

لذلك عندما علمنا بمساعيكم النبيلة الضخمة المكلفة من أجل علاج هذه الحالة المزرية عن طريق عقد مؤتمر موسع، وفرتم له أسباب النجاح من الوقت الطويل الذي خصصتموه له، ويصل إلى شهرين اثنين إلى الأماكن اللازمة للإسكان والإقامة للمؤتمرين، بما يكلفه ذلك من مال كثير، وجهد أكثر، حرصنا بل سارعنا إلى اللقاء بفخامتكم، لنتقدم لكم الشكر والتقدير على ذلك الذي هو في الحقيقة مفخرة تاريخية ضخمة لفخامتكم ولشعب جيبوتي الشقيق.



رئيس جمهورية جيبوتي يتحدث، وعلى يساره المؤلف، فالأستاذ سمير راضي

وهو أمر لا نعرف له مثيلاً في التاريخ الحديث، وهو يذكرنا بما فعله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عندما جمع الفرقاء اللبنانيين المتقاتلين في الطائف، ووفر لهم كل ما يحتاجه اجتماعهم، وقال لهم: ينبغي أن تجلسوا هنا حتى تحلوا مشكلاتكم، وتخرجوا باتفاق على ذلك. وقد أسفر عن ذلك اتفاق الطائف الشهير الذي أنهى الحرب الأهلية اللبنانية.

وقلت له: إننا باسم رابطة العالم الإسلامي التي تمثل الشعوب الإسلامية، نشكركم ونتابع خطواتكم مثل ملايين المسلمين، بل مئات الملايين من المسلمين في العالم، الذي ربما لا تتصورون كثرتهم، وبالتالي ربما لا تتصورون عظيم امتنانهم لفخامتكم، ولبلادكم على هذا المسعى النبيل.

لا سيما أنه قد جرت - كما يعلم فخامتكم - إحدى عشرة محاولة للصلح بين الصوماليين، ومحاولة تأليف حكومة تنبثق عن ذلك، ولكنها كلها لم تنجح، لأن أسباب النجاح لم تكن موجودة، أما أنتم فإننا نعتقد - كما يرجو أكثر المسلمين - بأن هذه المحاولة ستنجح، وستكون سابقة تاريخية لن تنسى أبد الدهر.

وقلت: إن هذه الخطوة التي قمتم بها لم تسبقوا إليها، من حيث حسن الإعداد والتخطيط، والمشكلة في الصومال مشابهة، فالقبلية فيه - كالطائفية في لبنان - تجعل المشكلة معقدة،

ولكنكم أهل لحلها ، لأنكم تعرفون تعقيداتها ، ولأنكم من أهل البيت.

وقد جئناكم لأن مبادرتكم مست قلوبنا ، وقلنا لا بد أن نزوركم ونشكركم على هذا العمل الكبير، وتقديراً لكم ولجيبوتي فإننا نفسح المجال للنظر فيمن ترشحونه ليكون عضواً في المجلس التأسيسي للرابطة.

إننا – أيها الرئيس الجليل - قد زرنا مع معالي وزير الشؤون الدينية ، وسعادة المستشار أماكن سكن الصوماليين التي وفرتموها لهم في بلدة (عرتة)، ورأينا المطاعم التي هي جزء من الإمكانات الضخمة التي وفرتموها لإخواننا الصوماليين، من أجل أن يقيموا فيها ويتدارسوا شؤون بلادهم، فعرفنا أنه لا يقدم مثل تلك التسهيلات إلا أناس كرماء صابرون، مثل فخامتكم ومعاونيكم.

ونحن على يقين ومعرفة بكرمكم وصبركم، ولكننا نعرف أيضاً أن إمكانات بلادكم المالية ومواردها المحدودة لا تمكنكم من فعل كل ما تريدون، ولذلك عجبنا ، بل أعجبنا بما سمعناه من كونكم لم تقبلوا من أحد من الدول أن يسهم في نفقات هذا المؤتمر، فضلاً عن أن يشترك به، من أجل إبعاد تدخل الأجانب في شؤون الصوماليين المتمثلة في هذا المؤتمر.

ثم تكلم رئيس الجمهورية معلقاً على كلامي بكلام طويل مبسوط، يدل على حنكته السياسية، واهتمامه الزائد بشؤون هذه المنطقة من شرق إفريقيا.

فكان مما قاله شاكراً وفدنا:

أشكر فضيلتكم والإخوة الذين معكم، ونقول: جزاكم الله خيراً، ولا ننسى تعاونكم وتضامنكم معنا، ولا بد أن نذكر فضل المملكة العربية السعودية في تأسيس جمهورية جيبوتي، فلولا المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٧م عند الاستقلال لما كانت جيبوتي قائمة، ونحن نفهم هذا، ولا زلنا نتلقى مساعدات المملكة العربية السعودية، خاصة في التعليم، فالشعب الجيبوتي شعب فقير لا زراعة له ولا مصانع، ولكنه شعب صبور مؤمن، والكارثة التي أصابت الصومال بانهيار الدولة أصابت أهل جيبوتي وأهمتهم، وقلنا بعد فشل اثنتي عشرة تجربة لا بد من العمل الجاد لتوحيد أهل الصومال، وإجراء المصالحة فيما بينهم، وقد توافد علينا أهل الصومال بأعداد كبيرة، وزادوا عن العدد المحدد؛ حيث وصلوا إلى (١٥١٨) فرداً، والرابطة - مشكورة - تزورنا الآن، وهي أول جهة تدعمنا، ونشكرها باسم الحكومة والشعب الجيبوتي.

وعندما أنهى كلامه قلت له: يا فخامة الرئيس، أرجو أن تسمحوا لي بتقديم مبلغ رمزي من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، للإسهام في تقديم الشاي لهذا الجمع الكبير من الإخوة

الصوماليين الذين حضروا المؤتمر الآن، وإعاشتهم - كما رأينا - تتطلب الكثير من المال، ولا نستطيع أن نقول إن المبلغ الذي تقدمه رابطة العالم الإسلامي الآن، وهو مائة ألف دولار أمريكي، يمكن أن يعتبر إسهاماً في الإعاشة، وذلك لقلته وكثرة ما تتطلبه الإعاشة من المال، أرجو أن تخبروني عن الشخص أو الجهة التي تأمرون بأن نسلم المبلغ إليها.

فشكر ذلك وقال: يمكنكم أن تقدموه لوزير العمل الذي يقوم بعمل رئيس الوزراء، فهو المسؤول المباشر عن مثل هذه الأمور المالية، وهو (محمد برخت عبد الله).

هذا وقد جاء فرّاش قبيل الاجتماع بالشاي والقهوة والماء المعدني وأشربة غازية يعرضها على من أراد.

هذا وقد ودعنا الرئيس شاكرين، وبدا أنه مرتاح لزيارتنا ولما قلناه فيها، وقد أخبرني الأخوان القريبان منا، وهما من أكثر الجيبوتيين نفوذاً في القصر الجمهوري وقرباً من الرئيس، وهما الوزير (موجي) والسفير (آدم شيخ حسن) أول سفير لجيبوتي في المملكة، بأن الرئيس مرتاح للمقابلة، وأنه يشكر الرابطة، وقد اعتبر أن اللقاء كان ناجحاً.

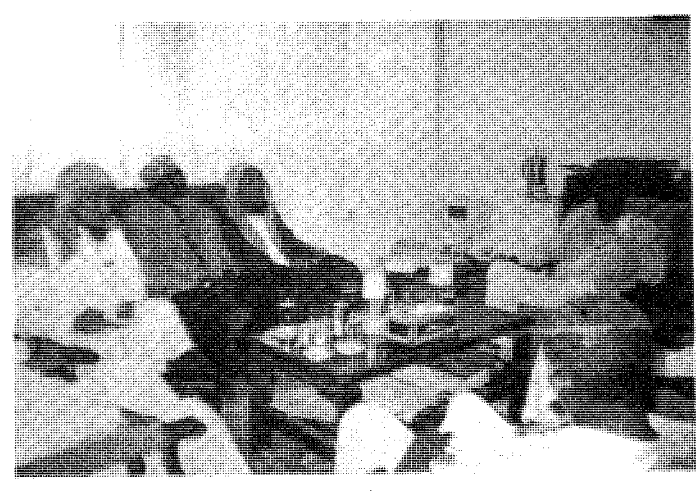
مع رئيس مجلس الوزراء بالنيابة:

غادر موكبنا القصر الجمهوري بعد أن ودعنا رئيس المراسم

للباب الخارجي، أما بقية الأمور المتعلقة بالشكليات فإنها غير موجودة، أو كأنما كانوا مثلنا في أول الأمر عندما كنا نترك الأمور تسير على طبيعتها من غير إخلال بالأمور الجوهرية فيها.

وذهبنا إلى رئيس الوزراء بالنيابة الأخ الأستاذ محمد برخت عبد الله وزير العمل الذي يقوم بعمل رئيس الوزراء الذي يوجد خارج البلاد الآن، لكونه مريضاً يعالج في فرنسا.

دخلنا مبنى رئاسة الوزراء، واسترعى انتباهنا مرة أخرى عدم المبالغة في المراسم والأمور الشكلية.



رئيس مجلس الوزراء بالنيابة في مكتبه، على يمينه المؤلف، فالوزير (موجي)، فالأستاذ سمير راضي

وقد خفف من الأمر وجود الأخوين الكبيرين معنا الوزير

والسفير، فدخلنا إلى داخل المبنى مع ممر غير واسع بالنسبة إلى ما نعرفه في مثل هذه المكاتب عندنا وعند الذين يأخذون بالشكليات من بني قومنا، فوجدنا وزير العمل القائم بوظيفة رئيس مجلس الوزراء الأخ (محمد برخت عبد الله) في استقبالنا، وهو رجل يبدو شاباً، وهو طويل القامة قوي الجسم، إلا أنه يبدو أنه مرهق من العمل، وهذا أمر مفهوم السبب، إذْ لو لم يكن في عمله إلا تكليفه أمر استضافة هذا العدد الضخم من الصوماليين الذين حضروا المؤتمر.

أما لونه فإنه مثل ألوان الناس هنا، وهو السمرة الشديدة التي قد تصل إلى حد السواد، ولكنه ليس كسواد الأفارقة الذين تقع بلادهم تحت خط الاستواء، فأولئك سوادهم فاحم لا تشوبه شائبة من أي لون آخر.

إضافة إلى تقاسيم الوجوه، وتقاطيع الأجسام، والرائحة التي تنبعث من الجسم، فهي مختلفة في أولئك عن هؤلاء، والواقع أن الإخوة الصوماليين الذين منهم أهل جيبوتي الذين يمثلون أكبر الطوائف فيها، هم كالعرب تماماً، لولا هذه السمرة التي قد تصل إلى السواد في ألوانهم، وإلاّ فإن تقاسيم وجوههم وأشكالهم، وحتى نطقهم بالعربية، لا يختلف عن بقية العرب، فهم ينطقون بالحروف العربية الحلقية كما ينطق بها العرب، وهي التي يصعب على الأعاجم النطق بها.

وينتمي وزير العمل هذا إلى قبيلة (العيسى) الصومالية، بخلاف رئيس الوزراء الغائب، فإنه ينتمي إلى جماعات (العفار) التي تؤلف المجموعة الثانية من حيث الكثرة في جيبوتي، تليها في المرتبة الثالثة من حيث العدد: العرب كما تقدم.

و(العفر) - وبعضهم يكتبها (العفار)، ورأيت سلطانهم المقيم في بلادهم في إثيوبيا المجاورة لجيبوتي، السلطان علي مراح، وهو صديق قديم عرفته عندما كان لاجئاً في بلادنا مقيماً في جدة، وكان يراجعني في أمور كثيرة تتعلق بالنواحي الثقافية في البلاد، مما جعله يوجه لي بعد أن كان عاد إلى بلاده (إثيوبيا) منذ عدة سنوات، وأصلح من شؤون جماعته، دعوة لزيارتهم فيها، ورؤية ما حققوه في الميدان الثقافي، وقد شكرته على دعوته، وقلت له: إنني يسرني زيارة منطقة العفر، وهي (سلطنة العفر) ذات الاستقلال الذاتي في إثيوبيا، ولكن الوقت هو الذي يمنعني، وعندما أستطيع من ناحية توفر الوقت سوف أقوم بتلك الزيارة بإذن الله.

جلسنا في ناحية من المكتب فيها مقاعد قليلة، وتحدثت لوزير العمل بكلمة قصيرة قلت فيها:



المؤلف يتحدث ورئيس الوزراء بالنيابة ينصت

لقد أعجبتنا هذه التنظيمات للمؤتمر، وقد قابلنا فخامة رئيس الجمهورية وقلنا له إن هذا العمل يحتاج إلى صبر وكرم أنتم أهل له، وأضفت قائلاً: نحن نتابع مسألة الصومال، ونعرف أن هنالك (١٢) محاولة للصلح من قبل، ولم تنجح، ولكن بالنسبة لكم ولفخامة الرئيس، فإنكم عملتم بدافع الغيرة على الإسلام، ونرجو أن تنجحوا، وجميع الناس يقدرون ويثمنون غالياً هذا العمل العظيم، ولا بد من جهد عظيم، فالهدف هدف جليل، ولذلك مهما كان العمل شاقاً ومكلفاً، فإنه في محله، ونحن في رابطة العالم الإسلامي منظمة شعبية عالمية يشترك فيها ممثلون للشعوب الإسلامية، نتابع جهودكم ونتضرع إلى الله أن تكلل مساعيكم بالنجاح، وأن تكون النتيجة تقر بها أعيننا جميعاً، ونرجو أن

يدرك إخواننا الجيبوتيون أن إخوانهم في العالم الإسلامي يدعون لهم، ويقدرون ظروفهم، وأن هذا العمل العظيم سيسجل بأحرف من نور في التاريخ، ونشكركم على المقابلة، ونرجو أن تكون المقابلة القادمة في مكة المكرمة، أو هنا بعد نجاح المبادرة.

أجاب دولة رئيس الوزراء بالإنابة: نرحب بكم في بلدكم الثاني، ونحن نشكركم على شعوركم النبيل، وتضامنكم وتقديركم لجهودنا، رغماً عن ظروف جيبوتي التي وضع عليها صندوق النقد الدولي شروط تقشف لتنال مساعدات، ورغماً من ذلك نقوم بهذه المبادرة المكلفة، فقد تركنا عملنا الداخلي، وتفرغنا لإنجاح هذه المبادرة لمساعدة إخواننا الصوماليين للخروج من هذا النفق المظلم، وإعادة دولتهم وكرامتهم، وكما تفضلتم أن المبادرات السابقة لم تنجح، لأنها كانت مبنية على أمراء الحرب، وهذه المبادرة تختلف في الطرح والمفهوم، إذْ تعتمد على الزعماء التقليديين والمجتمع المدني، وقواعد المجتمع، والمبادرة تشتمل على مرحلتين: الأولى جمع الزعماء، فالمجتمع الصومالي مكون من أربع مجموعات قبلية رئيسية، ومجموعات أخرى صغيرة ضمت في جبهة واحدة، وتم الاتفاق على أن تكون المرحلة التالية من المؤتمر هي التي ستكون هياكل الدولة، وكل مجموعة تختار من بين أفرادها (١٦٠) شخصاً ليكون العدد الكلي لهذا المؤتمر (٨٠٠) شخص، بالإضافة إلى تمثيل المرأة، ومجموعات من المثقفين

من الشتات، ليكونوا مع المرأة مجموعات ضغط على الآخرين، للوصول للحل، وبهذا نرجو أن نتمكن من إنشاء حكومة، ونرجو من إخواننا العرب والمسلمين بعد تشكيل حكومة صومالية الإسراع بالمساعدة، لأن الصومال تحت الصفر، ويفتقد البنية الأساسية.

ثم سألته عدة أسئلة كما يلي:

١- هل هنا سقف وقتي للمؤتمر؟

٢- هل تنوي الحكومة الجيبوتية أن تتابع الدولة الصومالية حتى تثبت أقدامها؟

أجاب السيد رئيس الوزراء بأن كل عمل يجب أن يحدد له وقت، ولكن يصعب ذلك مع الصوماليين، فقد حدد للفترة الأولى أسبوع، ولكنها امتدت لشهر، ونخطط للفترة التالية أن تنتهي خلال هذا الشهر.

بالنسبة للمتابعة بدأنا تنظيم الجانب الأمني بدعوة القيادات العسكرية السابقة للتخطيط للأمن في المستقبل.

وسألته أيضاً عما إذا كانت هنالك مجموعات لها أهمية لم تستجب لهذه الدعوة؟

أجاب السيد رئيس الوزراء بأنهم قد عملوا بأن لا تكون هنالك قوة مؤثرة خارج المؤتمر، فالحضور أساساً قبلي، ويشمل

كل القبائل وزعماءها، فأمراء الحرب الذين يحملون السلاح زعماؤهم وقادة قبائلهم معنا في المؤتمر، بالإضافة إلى جماعات الضغط، وهؤلاء كلمتهم نافذة على المليشيات التي تحمل السلاح، فإذا أمروهم أن يرموا السلاح فسيفعلون ذلك.

بعد النقاش والاطمئنان على تنظيمات مؤتمر السلام، وحسن تخطيطه قدمت له المبلغ، وهو مائة ألف دولار أمريكي هدية من رابطة العالم الإسلامي، للإسهام فيما ذكر، فأجاب بالشكر، إلا أنه كان فيما يبدو مرهقاً بالعمل، فلم يكن يبتسم كما كان الرئيس يفعل، وإنما بدا لي أنه صاحب عمل كثير جاد.

وقد لبثنا عنده قرابة الساعة إلا ربعاً، تطرق الحديث فيها إلى شؤون مختلفة من شؤون هذه البلاد، استأذنا منه في المغادرة بعدها.

لم يعقد المؤتمر هذا اليوم:

كان من أهم برنامجنا شيئان: أولهما مقابلة رئيس الجمهورية وشكره على جهوده في إقامة مؤتمر السلام والمصالحة الصومالي، وتقديم مبلغ مائة ألف دولار من رابطة العالم الإسلامي إليه، وقد تحقق ذلك الآن، وبقي الشيء الثاني المهم، وهو أن أتحدث أمام مؤتمر المصالحة الذي يحضره زعماء الصوماليين

وكبارهم، وكان من المقرر في البرنامج أن يكون ذلك في الساعة الخامسة من عصر اليوم، غير أن المؤتمر لم يعقد لسبب لم يوضحه لنا الإخوة الجيبوتيون إلا بقولهم: إن المرحلة الأولى من مراحل المؤتمر قد انتهت منذ يومين، وهي مرحلة الاجتماعات والخطب والتعارف، وأما المرحلة المهمة الثانية، فإن رئيس جمهورية جيبوتي سوف يفتتحها غداً الثلاثاء، ويحضرها الجميع، وقد يكون من المناسب أن تلقوا الكلمة في هذا الاجتماع، قالوا ذلك على سبيل الخبر، وليس على سبيل التقرير، لأن ذلك يحتاج إلى ترتيب يوافق عليه رئيس الجمهورية الذي كان قد حرص على أن لا يشترك أحد من غير الصوماليين في المؤتمر، ولكنني سمعت من بعض الصوماليين أن السبب في عدم انعقاد المؤتمر في هذا اليوم هو وجود خلاف بين الصوماليين في نسبة تمثيل بعض الجماعات فيه.

ولكن الجميع قالوا: إن كلمتكم يمكن أن تلقى غداً الثلاثاء، فقلت لهم: إنه لا مانع عندنا من ذلك، ولكننا أحببنا الاحتياط للأمر، لأننا قد حجزنا لسفر العودة مساء الأربعاء بعد غد بإذن الله، ولا يزال في الوقت متسع لذلك.

يوم الثلاثاء: ٤/ ٢/ ١٤٢١هـ - ٦/ ٦/ ٢٠٠٠م

جولة في مدينة جيبوتي:

رغم وجود إمكانات متوفرة لنا من سيارات وأدلاء، ومن الوقت الذي كان يقطعه الزوار الكثر، فإنني لم أكن على عادتي في انتهاز مثل هذه الفرص، والخروج إلى النزهات في الأماكن الخلوية القريبة من المدينة، حتى إنني تركت زيارة منطقة فيها مركز كبير لرابطة العالم الإسلامي التي أتولى فيها وظيفة الأمين العام المساعد، ولا أدري السبب، كما لا أدري السبب في كوني أقللت من الكتابة في جيبوتي، مع توفر دواعي الكتابة في العادة مثل الوقت والسكن المريح، ومع ذلك وجدتني في ضحى هذا اليوم أقول في مكتب الرابطة: إنني أريد أن أقوم بجولة على مدينة جيبوتي، أشاهد فيها ما تمكنني مشاهدته قبل السفر، وأريد أن يصحبني فيها أحد الإخوة من أهل جيبوتي الذين يعرفونها، ويعرفون الأماكن التي تستحق الزيارة والاطلاع فيها.

وكان ذلك متيسراً، إذ انتدب له الأخ (محمد ناصر) سكرتير مكتب الإغاثة الذي قال: إن اسمي مثل اسمك (محمد ناصر).

كما أن سائق السيارة التي سنتجول عليها، وهي سيارة مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية التي تتبع رابطة العالم الإسلامي،

هو أيضاً من أهل جيبوتي الذين يعرفونها، وكلاهما يتكلم العربية كما يتكلم بها أهلها، مع أن السائق ذكر لي أنه لم يتعلم العربية في مدرسة من المدارس، وأنه صومالي، أي من القطر الصومالي، وليس من أهل جمهورية جيبوتي الصوماليين، ولعل القارئ الكريم يتذكر ما سبق أن قدمته من كون السكان في جيبوتي يتألفون من ثلاث فئات رئيسية نسبتها المئوية كالتالي:

٤٥ ٪ صوماليون، و٤٠٪ عفريون، و٢٠٪ عرب.

قال الأخ السائق واسمه (عثمان بن إبراهيم عجة): لقد عرفت العربية عن طريق التحدث بها في الشارع وسماعها من العرب. وهذا الأخ السائق لا شك في أن تخلفه عن التعلم جنى عليه، إذْ لو تعلم لكان له شأن، لأنه حاد الفهم، ذكي.

ممنوع سكن السود:

انطلقنا من فندقنا الواقع في حي الجزيرة الراقي من مدينة جيبوتي، واسمه حي الجزيرة، لأن البحر يحيط به من جهات ثلاث، وكان يسكن فيه الفرنسيون والأجانب في زمن الاستعمار، ويمنع المواطنون من أهل البلاد من السكن فيه حسبما قال لي المرافقون.

أما الآن فإن فيه السفارات الأجنبية تقع في جانب منه، وفيه الوزارات، ومقار الشركات، ويحتله من استطاع من المواطنين أو

غيرهم، أما الفرنسيون فقد اتخذوا لهم حياً آخر قريباً من المطار؛ حيث القاعدة العسكرية الموجودة في جيبوتي.



شارع في الحي الفاخر في مدينة جيبوتي

ومررنا أول الأمر بمستشفى كبير بناه الفرنسيون، اسمه بليتيه، وهو يعالج الناس بالنقود وليس بالمجان.

ومن الملاحظ أن جميع المنازل في هذا الحي ذات حدائق وأشجار خضر، مما يجعل مثلي يعجب من ذلك، إذا تذكر أن هذه البلاد ليس فيها نهر جار، ولا أمطار كافية، بل هي صحراء جرداء، حتى النهر الذي يتجه إليها من الحبشة، وهو نهر أواش، يدخل في مناطق رملية قبل أن يصل إليهم، فيغوص فيها ويحرمون من مياهه، مع أنه نهر يجري في الحبشة طوال السنة، ويقولون: إننا نحصل على المياه اللازمة للمدينة من آبار ارتوازية، إلا أن ماءها

ملح، ولذلك لا يشربه كثير من الناس الذين يضرهم الملح، مثل من يكون لديهم ضغط الدم المرتفع، مع أنهم يعالجونه بالمطهرات، ويشرب منه الفقراء وهم الأكثر في البلاد، وقد جربنا أن نصنع الشاي منه فلم نستطع أن نستسيغه لملوحة الماء، ووجود الأدوية المطهرة فيه.

ومن آثار فرنسا التي لا تزال باقية في هذا الجزء الجيد من المدينة (المركز الثقافي الفرنسي)، يقولون: إنه يمكن تلخيص عمله الأساسي بأنه تشجيع تعلم اللغة الفرنسية ونشرها، أو على الأدق المحافظة عليها في هذه المستعمرة الفرنسية السابقة.

وقد أخبرونا أن الحكومة الفرنسية أنشأت في كل حي مدرسة ابتدائية واحدة عندما كانت تستعمر البلاد، واستمر ذلك، إلا انه لا توجد في الحي مدرسة ثانوية فرنسية، بل لا توجد مدرسة فرنسية ثانوية للمواطنين في الوقت الحاضر إلا واحدة، ولذلك أقبلوا على الدخول في المعهد السعودي إقبالاً عظيماً، لأنه يوفر الدراسة الثانوية الدينية، وفوق ذلك يدفع للطلاب مكافأة رمزية، وقد ازداد عمله وتوسع عندما ضمت إليه (المدرسة السعودية)، وهي مدرسة كانت هيئة الإغاثة الإسلامية قد أنشأتها، وأنفقت على ذلك نفقات كبيرة، ثم عجزت عن الإنفاق عليها وعلى مدارس أنشأتها في عدة دول في أنحاء من العالم، مثل مدرسة في جنوب ألبانيا على حدودها مع اليونان، فتركتها الهيئة بحجة أن التبرعات

التي كانت تتلقاها للعمل الإسلامي قد تقلصت.

وهذا صحيح من حيث نقص تدفق التبرعات على الهيئة، وذلك بسبب ما بلغ المتبرعين عن سوء في الإنفاق، ولكن كان يجب على المسؤولين في الهيئة آنذاك ألا يندفعوا في إنشاء مدارس تحتاج إلى ميزانيات سنوية مستمرة كبيرة، إلا بعد أن يضمنوا أنهم قادرون على الإنفاق عليها لعدة سنوات على الأقل.

وعندما انسحبت الهيئة من هذه المدرسة السعودية كما أسمتها، وتركتها في مهب الريح، بل تركتها في قلب العاصفة، ضج أهلها من موظفين ومدرسين وطلاب بالشكوى إلى السفارة السعودية، وإلى الحكومة السعودية، فأحالت الحكومة موضوعها على المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي أحالها إلى اللجنة التحضيرية المنبثقة عنه، وأنا أحد أعضائها، فقررنا أنه لا يجوز أن تترك المدرسة هكذا، بل يجب أن تتبناها الحكومة السعودية على الأقل إلى حين تخرج الطلاب الموجودين فيها، وذلك عن طريق إيقاف قبول طلاب جدد فيها، ثم تقليصها شيئاً فشيئاً، وهذا فيما إذا كان من الصعب الإبقاء عليها من الناحية المالية، مع أن ذلك ليس صعباً على بلادنا ولله الحمد، وبخاصة إذا كان ذلك الإنفاق على مؤسسة ثقافية في بلد مسلم شقيق.

وبالفعل ضمت المدرسة المذكورة إلى إدارة المعهد السعودي، واستمرت الدراسة فيها.

ومما يسر الآن أن عدداً من المتخرجين في المعهد السعودي أنشأوا مدارس عربية صارت عدة مدارس، كلها تدرس العربية والدين الإسلامي، مما نشأ عن ذلك توسع في معرفة العربية، وانتشار للثقافة العربية في هذه البلاد.

شارع المالكون:

يسمي الإسبان والناطقون باللغة الإسبانية في أمريكا الجنوبية شارع البحر أو النهر بـ(المالكون)، ويعادل ذلك معنى كلمة (الكورنيش) التي تعني شارع البحر كما تستعمل عندنا في جدة مثلاً، وكما تستعمل في شارع نهر النيل في القاهرة.



على شاطئ البحر مع الأستاذ الزميل سمير جميل راضي

ويكون (المالكون) الإسباني بسبب قربه من البحر موضعاً

لعرض الجمال في العادة، ومَراداً لمن يريدون البحث عن ذلك، وآخر من رأيتهم فعلوا مثل ذلك الكوبيون في مدينة هافانا العاصمة، فكانت أمسيات (المالكون) معروفة للأجانب والسياح الذين جاؤوا من البلدان العربية وأمثالها في التعارف.

لقد ذكرت ذلك عندما وصلنا اليوم إلى شارع يجاري شاطئ البحر على جانب منه القاعدة الفرنسية البحرية، ذكروا أن هذا هو موضعها القديم، بل الذي كانت تشغله منذ مائة سنة، وهي الآن كما رأيناها محاطة بالأسلاك الشائكة.

وقد رأينا قبل الوصول إلى شارع البحر بقليل مبنى متميزاً بطراز بنائه التقليدي، وهو السفارة اليمانية، بناها أحد الأثرياء من المغتربين اليمانيين في جيبوتي على طراز يمانٍ عريق خالص، مزين بالأصباغ والفن اليماني المعروف في طلاء الأبنية المعتنى بها، وأهداها إلى الحكومة اليمانية فنزلت فيها السفارة.

وفي البحر رأينا أعداداً من الشبان، أي من الذكور يسبحون، ولم أر بينهم ولا بقربهم إناثاً، ولا أدري كيف يستطيعون أن يجدوا الوقت للسباحة في هذا اليوم من أيام العمل، إلا إذا كانوا طلبة من إحدى المدارس التي جعلتهم يتعلمون السباحة، أو يمارسون رياضتهم المائية.

ومرة أخرى جرى على ذهني السابحون في موانئ البرازيل،

وبخاصة في شواطئ مدينة (ريو دي جانيرو) ثانية مدن البرازيل من حيث السكان، وأجمل مدينة في العالم؛ حيث يتكدسون أو ينتشرون فيها على هيئة مجموعات عديدة، وهي شواطئ رملية نظيفة تغري بالاستلقاء، فضلاً على الجلوس والسير عليها، وكيف كانوا لا يحتشمون من ذلك، ويبدون كما لو كانوا لا يبالون به، فلا تراهم ينظرون إلى فعلتهم تلك باهتمام، أو حتى ملاحظة ومتابعة.

وأما مظاهرهم ومناظرهم فإنها الجمال الذي تبتذله العيون، وتذهب بأمثالنا الظنون فيما قد يكون وراء ذلك وما لا يكون ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الحجر].

ميناء جيبوتي:

رأينا ونحن نقترب من الميناء صفوفاً ضخمة طويلة من ناقلات المحروقات، وكلها من إثيوبيا تنقل وقود السيارات والمحركات الأخرى من جيبوتي إلى إثيوبيا، وذلك منذ أن حصل الخلاف ما بين إثيوبيا وإريتريا على استخدام ميناء عصب الإرتيري، وأغلقته إريتريا أمام إثيوبيا إلا برسوم عالية، لم توافق عليها إثيوبيا.

وتلك السيارات الضخمة التي تنقل الوقود تأخذه من خزان للمحروقات تابع لشركة توتال الفرنسية.

ثم الميناء الذي سمعنا ما شرح صدورنا بأنه تديره الآن شركة عربية، وهي شركة (جبل أبو علي) في دبي من دولة الإمارات العربية المتحدة، بعد أن كانت تديره شركة فرنسية.

ومعظم واردات هذا الميناء يعتمد على التجارة العابرة (الترانزيت) الذاهبة إلى إثيوبيا.

وقد كتبتها (إثيوبيا) مضطراً، مع أن الأولى أن نكتبها الحبشة طبقاً لاسمها القديم في كتبنا العربية، ولكنها عندما كانت تحمل اسم الحبشة كانت مقتصرة على أرض الحبشة من الهضبة التي لا تمثل الآن إلا جزءاً من إثيوبيا مثل منطقة (تقراي) ومنطقة (شوع) التي فيها العاصمة (أديس أبابا)، ولكنها الآن تشتمل على بلاد واسعة، أوسع من تلك بكثير، وتقطنها شعوب وقوميات ليست من الأحباش في شيء، من أهمها وأكثرها عدداً، وأوسعها داراً (الأورومو) الذي منهم مسلمون ومسيحيون، فضلاً عن إقليم (أوجادين) الذي هو الصومال الغربي.

هذا وقد حسن حال شارع الشاطئ، فصار ذا اتجاهين، أحدهما للذاهب من السيارات، والثاني للآيب، تفصل بينهما جزيرة، ولكن الجزيرة بينهما، مثل حواشي هذا الشارع الجيد وما حوله، خالية تماماً من الخضرة، بل إنه ليس فيها عود أخضر واحد.

وهذا سببه ظاهر من قلة الماء، لكون هذه البلاد صحراوية قليلة الأمطار، غير أن هناك أشجاراً صحراوية تعيش على القليل من الماء الذي تستخلصه من التربة مثل (البرشوبس) يمكن أن تغرس هنا قرب البحر.

وقد رأيت حتى الآن من خلال الجولة طوائف من الناس من رجال ونساء، وكلهم داكن السمرة، أو خفيف السواد، والنساء عليهن الملابس الطويلة الساترة، ومن النادر أن يرى المرء في الشارع امرأة ليس عليها إلا الملابس الإفرنجية، وإنما يكون ذلك في بعض المكاتب للشركات والمؤسسات الأجنبية ونحوها، على قلة فيه، حتى إن خادمات الغرف في فندقنا الذي نسكن فيه، يعملن وعليهن ملابسهن الطويلة التي هي قمص طويلة، وعلى الرأس منديل كبير كثير الطيات.

وهذا الشارع الجيد يدور حول حي الجزيرة الجيد الذي يؤلف ما يشبه الهلال على البحر.

يوم الجيش:

رأينا في الميناء علامات للزينة عديدة على هيئة أعلام وطنية صغيرة متقاربة ملونة ومعلقة، ذكروا أنها وضعت هكذا لمناسبة الاحتفال بيوم الجيش الذي هو هذا اليوم، لأنه أسس في يوم ٦/ ٦/ ١٩٧٧م مع أن استقلال جيبوتي كان في ٢٧/ ٦/ ١٩٧٧م.

وقال لي أحد المرافقين من أهل البلاد: إن الذي كان على رأس جيش جيبوتي عندما أسس لأول مرة هو ضابط عربي أصله من اليمن، ولكنه من سكان جيبوتي.

ميناء صيد السمك:

كنت أقول للإخوة المرافقين: إن (جيبوتي) ليست بلداً زراعياً، ولا بلداً صناعياً، لذا يجب عليها أن تبحث عن موارد أخرى مثل الصيد البحري الذي أصبح الآن سلعة مطلوبة في أنحاء عديدة من العالم، وبخاصة في البلدان العربية المجاورة بالنسبة إلى الأسماك المعتادة، أما الأحياء البحرية الأخرى الفاخرة كالسرطانات - جمع سرطان - الذي يقال له بالإنجليزية (لوبستر)، ويعرف عالمياً بـ(الاستاكوزا)، وكـ(الإربيان) الذي نسميه الآن الروبيان، ويعرف بالإنجليزية باسم (شرمب)، واسم آخر هو (برون)، إلى جانب عديد من الرخويات الغالية التي تصدر إلى البلدان الغنية كالبلدان الأوربية واليابان، فقال لي المرافقون: إن حكومة جيبوتي قد فعلت ذلك، وقد أنشأت ميناء لهذا الغرض نحن ذاهبون إليه الآن.

وقد ذهبنا إليه بالفعل، فرأيناه نظيفاً جداً مبنياً على طريقة حديثة، وأجمل ما فيه اللافتة التي تعلوه لكونها كتبت بالعربية وبخط جميل: (**ميناء صيد السمك**)، وتحتها ذلك الاسم

بالفرنسية، ويقع في خليج بحري صغير، وقد جهز حتى بمواقف لقوارب الصيد، سواء أكانت قوارب حديثة أو حتى معتادة من التي يفترض أن تبيع ما تصيده على الشركة التي تدير هذا الميناء، ولم يتم إسناد إدارته لشركة معينة حتى الآن.



عند ميناء صيد السمك مع أحد الإخوة الجيبوتيين

وقال لنا الإخوة بهذه المناسبة: إن ٩٠٪ من سكان جيبوتي لا يأكلون السمك، وهذا عجيب، لأنهم يعيشون على شاطئ البحر ولم يتعودوا على أكل السمك، ولا شك في أن سبب ذلك أنهم في مجملهم شعب رعوي، قد اعتاد العيش على رعي الماشية من الإبل والغنم، وليس على صيد البحر، وكان عددهم قليلاً في السابق.

وحتى الآن، فإن عدد سكان جيبوتي هو خمسمائة ألف، ومساحة أرضها (٢٣) ألف كيلو مترمربع، أي أكثر من ضعف

مساحة أرض لبنان، مع أن السكان أقل من ثُمُن سكان لبنان، والمراد بالثُمُن هنا - بضم الميم -: نصف الرُّبع.

ولا شك في أنهم سوف يعتادون أكل السمك، وإذا لم يفعلوا ذلك أو حتى إلى أن يفعلوه يمكنهم أن يبيعوا ما يصطادونه من السمك إلى الآخرين.

حي الملح:

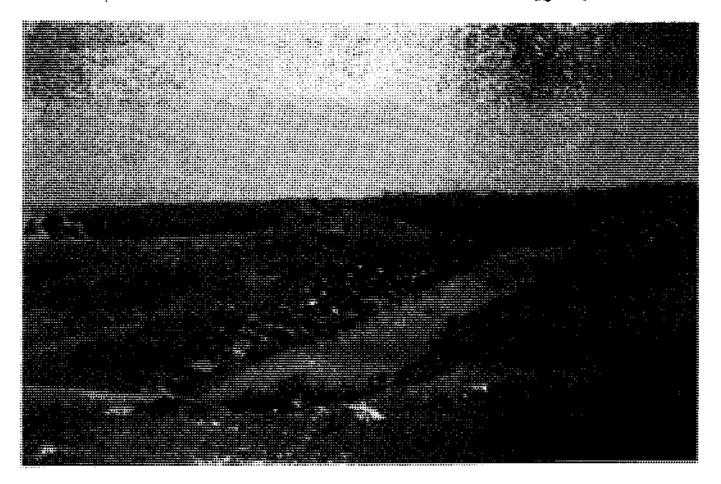
وقد يصح أن يقال فيه: منطقة الملح، لأنه ليس كله حياً مسكوناً، وهو منطقة على شاطئ البحر سميت (حي الملح) لأنهم كانوا يأخذون منها الملح من البحر بسبب ضحالة مياهها البحرية، وقوة تبخير الماء منها، وقد تركوا أخذ الملح منه الآن، وربما كان ذلك لكونهم سلطوا على جانب منه بعض المياه المستعملة في المنطقة المقابلة له من المدينة.

وقد رأيت في هذه المنطقة من شاطئ البحر عجيبة من العجائب، تمثلت في وجود غابات من الشجر الأخضر، نامية في مياه البحر، مثل الشجر الذي رأيته في غرب القصر الجمهوري، ولم أستطع أن أقف فيه وأتأمله، ولا حتى أسأل عنه، لأن معنا مرافقين، والمراسم تقتضي ألا نتحرك إلا حركة محسوبة.

وكان سروري بالغاً حينما رأيت هذا الشجر في داخل البحر، وبعضه بعيد نوعاً ما عن الشاطئ، حتى إن المرء ليتخيل أنه

لو كان وسط مياه نهرية عذبة لكان من الصعب أن يعيش، لأن كل ما حوله من الماء، فكيف يعيش هنا وسط مياه ملحة، بل شديدة الملوحة بسبب قلة الأمطار، وشدة تبخير المياه لحرارة الشمس.

وقد رأيت بعض تلك الأشجار قد كونت ما يشبه الغابات وسط المياه البحرية.



أشجار نامية على مياه البحر في جيبوتي

لقد رأيت أشجاراً نامية على شواطئ البحار في البلدان المجاورة في البلدان المطيرة التي تغسل أمطارها الأملاح التي تركب تلك الأشجار، أو تحيط بجذورها، ولكنها لا تكون وسط المياه البحرية.

وقلت في نفسي: ما أجدرنا بدراسة مثل هذه الأشجار البحرية - إن صح التعبير -، ومحاولة أن نغرسها في شواطئنا الضحلة، للاستفادة من منظرها، وربما كان لأغصانها أو خشبها - إن كان لها خشب - فوائد أخرى.

ورأيت في هذا الشاطئ طيوراً مفترسة كبيرة، طويلة المناقير، كنت رأيت أمثالها في شرقي إفريقية، وبخاصة في كينيا وتنزانيا، فسألت الإخوة المرافقين من جيبوتي عما إذا كان الأهالي يأكلونها، فنفوا ذلك نفياً قاطعاً، وقالوا: نحن لا نأكل الدجاج، فكيف نأكل مثل هذه الطيور المفترسة.

ورأيت أشجاراً من أشجار الحمض المسماة بالهرم - جمع هَرْمة - كما نعرفها في بلادنا، وهي تسمية لها عربية قديمة، فسألتهم عن اسمها فقال الأخ محمد ناصر: نحن نسميها (حروم)، وهذا تحريف لاسمها العربي.

الحوض الجاف والملعب الرياضي:

عطفنا من الشاطئ جهة أحد أحياء المدينة، فمررنا بما أسموه (الحوض الجاف) لإصلاح الأضرار في السفن، وهو جيد، وغير بعيد منه الملعب الرياضي، وهو واسع جيد المظهر، ذكروا أن الذي بناه هم الصينيون، طلباً للصداقة مع شعب جيبوتي.

وادي حُنبلي:

واللفظ على صيغة الحنبلي المنسوب إلى الإمام أحمد بن حنبل، إلا أن الحاء فيه مضمومة.

ووادي حنبلي هذا وادٍ يجري إبان الأمطار، ويأتي من مسافات بعيدة، ويبقى فيه شيء من مياه الأمطار، رأيناها على هيئة مستنقعات صغيرة.

قد سمي (الحنبلي) على اسم رجل يمانٍ، كان استصلح أرضاً فيه، وغرس فيها شجراً مثمراً، ومن أهم ما لاحظته أنه عمل فيه أنه غرس نخلاً رأيته مثقلاً بثماره، والثمر - بالثاء المثلثة - ولا أقول التمر - بالتاء المثناة - لأنه لم يتمر بعد، قد أثقلته في قنوان تدل على أنه معتنى به غاية العناية، لكن العجب أنه لم يسترعِ انتباه أكثرهم، فكان المرافقون عندما قلت لهم: إن التمر يوجد عندكم في النخل لا يدرون ما يقولون، حتى سألت الوزير الشيخ (موجي درر سمتر) وغيره، فأكدوا لي أن النخل يثمر، وأنه يجود هنا، ولكن الناس لا يعرفون غراسه، ولا يعتنون به بسبب الطابع الصحراوي عليهم الذي جعلهم ينصرفون إلى الرعي دون الزراعة.

ولكن الطابع الصحراوي لم يمنع بني قومنا من أن يغرسوا النخل، بل ويستجيدوا أنواعه، حتى صارت من أحسن أنواع التمور في العالم، وناهيك بالسكرية القصيمية و(الخلاصة) الأحسائية

ونبتة سيف العارضية.

وقلت لهم وألححت في القول: إن التمر أمان من الجوع، ولذلك قال الرسول (ﷺ) (**بيت ليس فيه تمر جياع أهله**)، ومعناه أن بيتاً فيه تمر لا يجوع أهله، وربما كان هذا هو لفظ الحديث في الأصل، أو أن مراد الرسول (ﷺ) : بيوت العرب من أهل المدينة ونحوهم، وذلك مطابق لما كنا نعرفه عن بلادنا قبل التغير الاقتصادي الأخير بأن البيت الذي ليس فيه تمر أهله جياع، لأن التمر هو الغداء - بفتح الدال المهملة - الذي يؤكل في النهار، ولم نكن نعرف طبخ الطعام إلا في العشاء، بل لم نكن نعرف أكل ما هو مطبوخ إلا في وجبة العشاء، وإنما هو التمر وحده، وقلت لهم : إن التمر قد أصبح الآن سلعة عالمية، وإنه يباع بأغلى الأسعار في بقالات العالم المتقدم، وقد وضعت الولايات المتحدة الأمريكية مشروعاً لغرس مليون نخلة في كاليفورنيا على مدى عشر سنوات، في كل سنة مائة ألف نخلة، وقد تم ذلك ونجح نجاحاً باهراً، وهاهم يستغلونه الآن.

كما أن الأستراليين قد استوردوا بالبواخر نخيلاً من الولايات المتحدة، وغرسوها في ولاية شمال أستراليا، وبالتحديد في مدينة (آليس إسبرنغ)، وقد رأيتها وتكلمت عليها كلاماً مبسوطاً في كتاب: ((**شمال أستراليا**)) من سلسلة الرحلات الأسترالية.

وهؤلاء الإخوة الجيبوتيون لو غرسوا النخيل في مثل هذا الوادي، وتوسعوا في ذلك لكان منها خير كثير.

ونعود إلى (وادي حنبلي) الذي استصلح أرضه، وغرسها نخيلاً وأشجاراً أخرى من أشجار الفاكهة أحد الإخوة اليمانيين، فنقول: إننا رأينا فيه أشجاراً خضراً، وزراعة حقلية مما يقل نظيره في هذه المنطقة من جيبوتي، ورأيت فيه إلى جانب النخيل الموقرة - أي التي حملت حملاً ثقيلاً - أبقاراً جيدة، ذكروا أنه يربيها، ولم يقولوا: إنه ينتفع بألبانها، مع حاجة البلاد إلى ذلك، لأنه كان عندهم مصنع للبن، ولكنه توقف فيما قالوه،؟ ولا أدري سبب ذلك.

وكنا سرنا بالقرب من وادي الحنبلي الذي يصب ماؤه في البحر إذا سال، فرأينا عدة مبانٍ في آخرها من جهة البحر المنار، الذي تسميه عامة الكتاب في الوقت الحاضر (الفنار) - بالفاء، وهو الذي يجعل لهداية السفن، وقد بناه الفرنسيون في وقت قديم. ولا يزال قوياً على هيئة مربع عالٍ مبني بالحجارة، وذلك لأهمية الملاحة بالنسبة لجيبوتي، وكان الفرنسيون يستفيدون منها فائدة كبيرة لسفنهم وتجارتهم مع البلدان الشرقية.

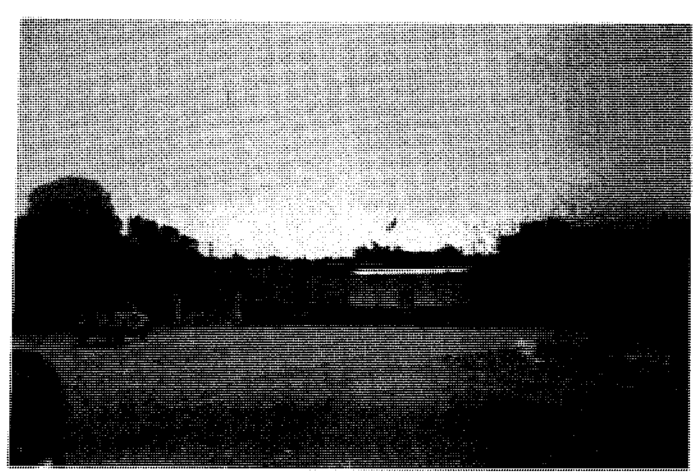
مشهد الشيخ موسى:

رأيت ما يشبه المسجد على البعد، لولا أنه ليست فيه منارة:

إذْ له قبة زرقاء أعلاها أخضر، وفوق المبنى علم أخضر، وحوله فناء لا أدري لماذا يستعمل، ذكر المرافقون أن هذا هو مشهد الشيخ موسى، لا يعرفون من أمره أكثر من ذلك، إلا أنهم قالوا: إن ابنه موجود الآن اسمه (علي)، وإنه إمام لأحد المساجد، وإذا كان قد رضي بوجود هذه القبة فوق قبر والده فإنه لا تجوز الصلاة خلفه، لأنه رضي بمعصية صريحة لرسول الله (ﷺ) التي وردت عن أبي الهيجاء عن علي ﷺ أنه قال له: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟: (**ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مُشْرِفاً إلا هدمته**).

وقال لي المرافقون الذين هم من عامة الناس، وليسوا من طلبة العلم: إن الناس قد اعتادوا على أن يقيموا حفلة عند هذا المشهد الذي هو القبر المدفون فيه الشيخ موسى كل عام، ويعملوا فرحاً كبيراً - على حد تعبيرهم -، وهذا أيضاً من البدع المنكرة التي تخالف ما جاء به رسول الله ﷺ من نقاء الدين، وإخلاص العبادة لله وحده، وعدم تعلق القلب بغير الله تعالى، فإذا كانوا فعلوا ذلك على هيئة العيد للشيخ المدفون في القبر، بحيث لا يخلّون به في موعده كل عام، فهذا أغلظ للمنكر، وأعظم مصيبة فيه.

وسألتهم قبل أن يسمعوا مني استنكار هذا الأمر عما يفعله الناس في هذه الحفلة وغيرها، فقالوا: إن الناس يأتون إلى قبر الشيخ موسى هذا يتبركون به.



مشهد الشيخ موسى في جيبوتي

وهنا أخبرتهم بأن ذلك لا يجوز، بل إنه منكر، وإذا اعتقد من يذهب إلى قبر الشيخ أنه ينفعه أو يضره من دون الله، خشي عليه الشرك بالله، لا سيما إذا دعاه أن يفعل ذلك له أو استغاث به.

فأفاض القوم بما يعرفونه من ذكر أمور تتعلق بالمشاهد وقبور من يعتقد فيهم الصلاح، وقالوا: إن كل قبيلة لها شيخ مثل هذا، قد بنوا على قبره قبة، إلا إذا كانت القبيلة ضعيفة، أو فيها من يخبرهم بأن ذلك لا يجوز، فإنهم لا يبنون فوق قبره قبة، ولكنهم يذهبون إليه ويكررون زيارته، ويتبركون به.

إلا أنهم استدركوا بأن الذي يفعل ذلك الآن هم العوام، أما المثقفون فإنهم لا يفعلونه.

ولا شك في أن أهل جيبوتي لم يكونوا ببدع من الناس في هذا الأمر، ولكن انتشار التعليم الديني والمعرفة بما يأمر به الشرع في هذا الأمر، قد قلل ذلك إلى حد كبير في أكثر أنحاء العالم المسلم.

أما في جيبوتي فلا شك أن المعهد السعودي له أثر كبير في تنقية العقيدة، وإيضاح التوحيد للناس، وإن المتخرجين فيه أو أكثرهم سوف يبصرون غيرهم في هذا الأمر.

أشجار الدوم:

أشجار الدَّوْم هو من فصيلة النخيل كما يقول الزراعيون، وذلك أن فيه شبهاً من النخيل، وإن كان بعيداً عنها، بل إن شجرة النارجيل التي لا تنمو وتزدهر إلاّ في المناطق الاستوائية الحارة القريبة من البحر، هي أقرب إلى النخلة من الدوم، وتتميز الدومة - واحدة الدوم- بأنها تتفرع منها فروع تبقى متعلقة بها وتطول.

وتنمو الدوم بكثرة في الوديان في عالية نجد من بلادنا.

ولقربه من النخيل ذكرت العامة في مأثوراتها الشعبية أنه نخل ممسوخ، وأن أصل ذلك أن أحد الأنبياء - فيما يزعمون - ضاف قوماً، أي نزل ضيفاً عليهم، وطلب منهم أن يطعموه تمراً من نخلهم، فقالوا وهم كاذبون: هذا ليس تمراً، إنه شجر آخر لا يتمر، فدعا عليهم - إن كانوا كاذبين - أن يمسخ الله نخلهم إلى

شجر لا يثمر التمر، فمسخ النخل دوماً له صورة النخل، ولكن ليس له ثمر.

أما ثمرة الدوم فإنها كرة أكبر قليلاً من البيضة، وهي صلبة بحيث تبدو كالحصاة، لا سيما أنها ثقيلة وبداخلها نواة ضخمة جداً وصلبة جداً، وحول النواة ليف له طعم حلو، كان الناس يأخذونه ويدقونه ويأكلونه في أزمان المجاعات.

وفي واحد من الوديان التي تسيل إذا نزل المطر قرب مدينة جيبوتي رأيت أشجار الدوم متشابكاً، كأنما لا يمسه الناس، مع أن له خوصاً يصلح للحصر ونحوها، ولكنه عالٍ يحتاج إلى آلة للوصول إليه، وإلى مهارة ودربة في ذلك.

وعدلنا من الشارع الجيد المزدوج الذي ذكرته، وقد نسيت أن أذكر لك أن التي بنته لهم هي اليابان، فكثير من الدول ساعدت (جيبوتي) في موضوع الطرق، لكونها ضعيفة الاقتصاد، فقيرة في الخبرة الفنية.

وقد ساعدتها بلادنا في أشياء عديدة، منها في مجال الطرق إنها بنت لها طريقاً مهمة، هي طريق تاجورا، وطوله (١٦٣)كيلومتراً، و(تاجورا) تبعد عن جيبوتي بالمقدار الذي ذكرته.

دار الحنان:

دخلنا إلى مدينة جيبوتي مع حي آخر، أول مبنى رأيناه فيه اسمه (دار الحنان)، بنته (ليبيا) لجيبوتي، فيه مستشفى الولادة، وبجانبه المدرسة الإسلامية، شيدت مبناها الكويت، وساعدت المملكة العربية السعودية على إكمال مبناها، وهذا أنموذج من التعاون المثمر ما بين جيبوتي والدول العربية.

ورأيت على البعد القطار الشهير الذي يصح أن يسمى بالقطار التاريخي، وهو الذي يربط جيبوتي بأديس أبابا عاصمة إثيوبيا في الهضبة الإفريقية الحبشية، ويمر بمدن مهمة فيها، من أهمها مدينة (دردوا) التي زرتها في عام ١٣٨٤هـ الموافق لعام ١٩٦٤م، أي منذ (٣٦) سنة، ورأيت فيها لأول مرة جماعات من (العيسى) الصومالية التي هي عماد السكان في هذه البلاد الجيبوتية، ومن هناك، أي من (دردوا) سافرت بالسيارة إلى مدينة (هرر) التي كانت عاصمة إسلامية، ظلت تحارب إثيوبيا ردحاً من الدهر حتى تغلبت عليها إثيوبيا، وقد ذكرت ذلك في كتاب ((**في إفريقية الخضراء**)) الذي هو أول كتاب ألفته في الرحلات.

وقد ركبت هذا القطار بالذات من أديس أبابا إلى دردوا في تلك السفرة الأولى، أما العودة فقد عدنا بطائرة صغيرة إلى أديس أبابا.



شارع في ضاحية في جيبوتي

مقبرة الحنبلي:

وهذه مقبرة واسعة جداً، مسورة بسور من الحجارة جيد منيع، يتناقل الأهالي قصة مؤثرة لإنشائها، تتلخص في أن الجيبوتيين أرادوا أن يدفنوا فيها موتاهم، لأن أرضها صالحة لأن تكون مقبرة، فمنعهم الفرنسيون من ذلك، فاشتراها كلها رجل عربي ذكروا أنه من اليمن، وأنه أحد تجار هذه البلاد، وأوقفها على المسلمين ليقبروا فيها موتاهم، واسم ذلك الرجل المحسن (حَمود) - بفتح الحاء - فسورها وجعلها مقبرة، وهي من أوسع المقابر التي رأيتها مساحة، وسجلها خيرية، بمعنى أن الدفن فيها مجاني، وقد رأيت القبور في داخلها ظاهرة، رغم كونها قد نمت

فيها أشجار صحراوية، إلا أن بعض القبور قد درست لأنه مضت مائة سنة على إنشائها.

ولم أرَ في القبور شيئاً مرفوعاً، مع أنني لم أر إلا القريبة من بابها، وكلها غير مرفوعة عن الأرض أكثر من شبر، ولكن المهم أن ذلك الرجل المحسن العربي (حمود) قد اشتراها وخصصها مقبرة للمسلمين، وسيأتي الحديث أيضاً عن أثر من آثاره الطيبة في مسجد كبير داخل العاصمة.

بيوت ذوي الدخل المحدود:

تركنا المقبرة بعد أن عرفنا من أمرها ما تهمنا معرفته، ومررنا ببيوت صغيرة، كل بيت منفرد عن الآخر، إلا أنها صغيرة ومن طابق واحد، وهي بيوت بناها الفرنسيون للعاملين معهم من الجنود ونحوهم، يبيعونها عليهم بالتقسيط، وهي بيوت شعبية قليلة، وتقابل هذه البيوت ثكنات الجيش الفرنسي.

ويلاحظ من الجولة حتى الآن أن اللغة الوحيدة التي يسمعها الإنسان هي العربية أكثر من أية لغة أخرى، بعدها أو معها الصومالية.

حي جبود:

وهذا الحي يعود بنا إلى الخرافات، والتعلق بالمدفونين الذين

ينسبون إلى الصلاح في الدين، فقد وصلنا حياً اسمه (حي جبود)، سمي على اسم شيخ دفن هنا، بنوا على قبره قبتين وليست قبة واحدة، إمعاناً في اتباع البدعة، ومجانبة للسنة، وإن كان الذين فعلوا ذلك لا يقولونه، وربما لا يعرفون حق المعرفة أن ذلك مخالف للشرع الشريف، ولكن من الواجب على العلماء وطلبة العلم أن يبصروا الناس بذلك، وأن يعملوا على إقناع الناس بهدم القباب على القبور، وإذا لم يستطيعوا ذلك فإن الواجب عليهم تبصير الناس بأن ذلك مخالف للشرع، وأنهم لا يجوز لهم أن يقصدوا القبور للتبرك بزيارتها، فضلاً عن طلب الحاجات من المقبورين فيها.

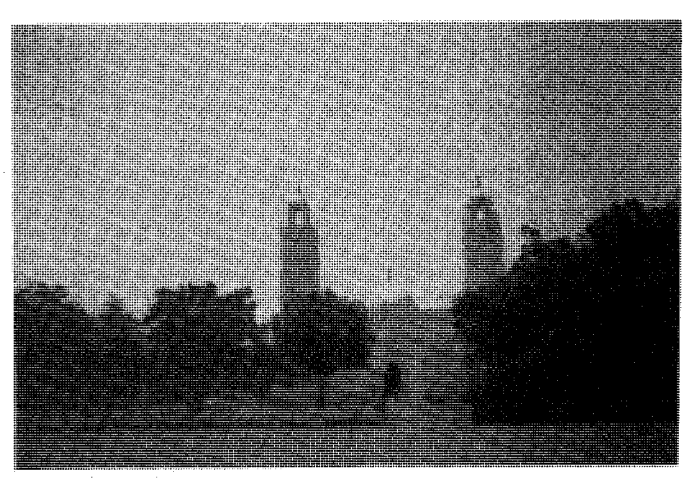
مسجد الأمير سلمان:

ولم نقف عند قبر الشيخ (جبود)، بل لم نبحث عنه، وإنما وقفنا في ناحية من الحي عند أثر إسلامي مهم، هو (**مسجد الأمير سلمان**)، وهو مضاف إلى الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود أمير الرياض، بناه في هذا الحي، لأنه ليس فيه مسجد من قبل.

ومبناه غريب الهندسة، إذْ هو ذو منارتين مدورتين تماماً، لا يكاد يوجد لهما نظير فيما رأيناه من مساجد هذه البلاد، إلا أن قبة المسجد معتادة، فوقها هلال من دون نجمة في وسطه، مثل المنارتين اللتين يعلو كل واحدة منهما هلال دون نجمة.

والهلال صار رمزاً للأبنية الإسلامية من المساجد ونحوها في مقابل الصليب الذي هو رمز الأبنية الدينية المسيحية، إلا أن أكثر الناس في البلدان البعيدة التي يقطنها مسلمون يجعلون في وسط ذلك الهلال نجمة.

وبالنسبة إلى اتخاذ الهلال على المآذن وقباب المساجد الذي كان محدثاً في بلاد المسلمين، ولكنه قديم، فقد قرأت أن أول من اتخذه من المسلمين كان تقليداً لعادة مستقاة من عادات المسلمين التتار التي أحضروها من طراز تتاري مغولي.



مسجد الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود في مدينة جيبوتي

وأما النجمة، فأول من لاحظت من المسلمين أنهم لا يجعلونها في المساجد هم مسلمو الاتحاد السوفيتي السابق، وبخاصة مسلمي

روسيا في الوقت الحاضر، وذلك كراهية منهم لعمل الشيوعيين الذين كانوا يضعون النجمة دون هلال على الأبنية المهمة عندهم، فكان المسلمون يخالفونهم في ذلك، ويضعون الهلال وحده، والمراد بذلك مجسم يمثل الهلال.

وأما في بلادنا، فإننا لم نكن في السابق نضع فوق المآذن أي شيء، ولم يكن بنو قومنا يعرفون أنها قد توضع فوقها أشياء ترمز إلى أي شعار، لأنه لم يكن يوجد في بلادنا - ولله الحمد - أحد من غير المسلمين، وهذا كان دأب بني قومنا في وسط البلاد.

وأما قباب المسجد، فإنها لم تكن موجودة عندهم أصلاً، ولا يعرفونها، لأنهم يجعلون سطوح المساجد كسطوح المنازل مبسوطة لا قباب فيها، وإنما تكون مع القباب وما يوضع عليها وعلى المآذن من شعار في غرب البلاد في الحجاز وما في حكمها.

هذا وقد التقطت صورة لمسجد الأمير سلمان لغرابة مظهر المسجد، ونوه الإخوة بأن الذي افتتحه هو ابنه الأمير سلطان بن سلمان الذي هو أول رائد فضاء عربي في التاريخ.

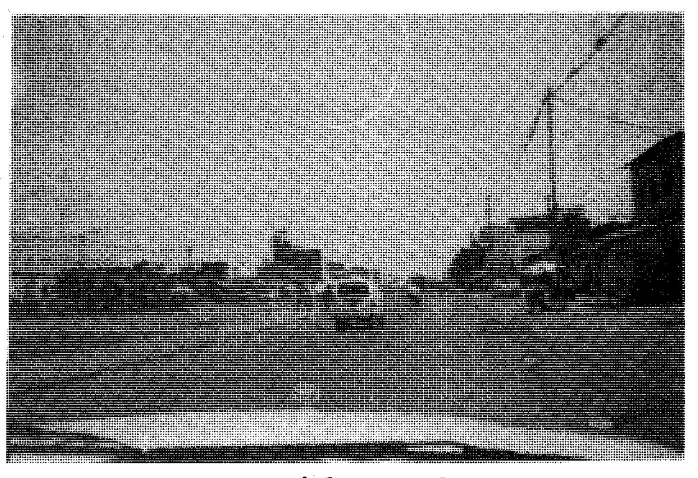
وكان افتتاحه في عام ١٩٩٠م.

كان مسجد الأمير سلمان مغلقاً لكون الوقت ضحى ليس بوقت صلاة، ولم نبحث عن المسؤول فيه حتى نرى كيف ندخله، وإنما واصلنا السير مع الشارع الذي يقع عليه المسجد جاعلين

المسجد على يسارنا، فوصلنا بعده إلى المساكن الجديدة التي سكن فيها الفرنسيون بعد أن خرجوا من حي الجزيرة الذي فيه فندقنا.

وأكثر الساكنين هنا هم يعملون في القاعدة الفرنسية، وقد رأيناهم في هذه المنطقة ظاهرين من رجال ونساء، ومن عسكريين يقودون سيارات.

وعلى ذكر الفرنسيين علق الإخوة بأنهم يوجد منهم مستشارون في كل الوزارات، فالوزير الجيبوتي يكون عنده في الغالب مستشار فرنسي، ما عدا مرافقنا في غير هذه الجولة الوزير (موجي)، لأنه وزير الشؤون الدينية.



شارع في ضاحية في جيبوتي

ولا يزال من الفرنسيين خبراء وعاملون في الشركات، ومن اللافت للنظر أنه لا يوجد عداء بينهم وبين عامة الناس، فلا تجد الناس يسخطون منهم، وربما كان ذلك راجعاً إلى انحسار نفوذهم، بحيث لا يحتك بهم الناس من العامة إلا عن طريق البيع والشراء مثلاً.

أما بالنسبة للحكومة الجيبوتية فإن وجودهم والعلاقة القوية معهم هو أمر حيوي للبلاد، لأن وجودهم يترتب عليه الحصول منهم على مبالغ مالية تحتاجها البلاد التي لا موارد لها في الحقيقة إلا أشياء ضئيلة، بسبب ضعف الاقتصاد، وضآلة الضرائب التي قد تجنى من المواطنين، ووجود الخبراء منهم في البلاد أمر مهم لمسايرة التطور في الإدارة ونحوها كما هو ظاهر.

والظاهر لكل من يتبصر في الأمور أن الدول العربية لديها الآن من المال والرجال ما تعوض به الجيبوتيين عن وجود الفرنسيين، وذلك فيما لو أرادت الدول العربية ذلك، ووافقت عليه جيبوتي.

ثم إن هنالك الأسواق الإقليمية المشتركة التي يترتب عليها تنقل رؤوس الأموال والصناعات والأشخاص العاملين بين الدول المشتركة فيها، ويمكن لو قامت أن تنضم إليها جيبوتي، فيكون في ذلك موارد مالية اقتصادية لديها، ويكون الطريق مفتوحاً للدول الأخرى، لكي تستثمر الأموال في مشروعات اقتصادية مفيدة

طويلة الأمد في جيبوتي.

حي العرب:

للعرب في جيبوتي العاصمة ثلاثة أحياء، أحببت رؤية أحدها، ويقول المسؤولون في حكومة جيبوتي: إن نسبة العرب في البلاد هي ٢٠٪ ، سمعت ذلك من وزراء ومسؤولين كبار من الجيبوتيين غير العرب، ولم أسمعه من العرب أنفسهم، ولا أدري أيوافقون عليه أم أن لهم رأياً آخر، ولكن الذي تنبغي ملاحظته أن المراد بالعرب هنا هم الخلص الذين لا يزالون يتكلمون العربية، ولا يدخل فيهم ذوو الأصول العربية الذين اندمجوا منذ أزمان بالمواطنين الجيبوتيين، مع أن الاندماج هنا يكون بالزواج ونحوه، وإلاً فإن الدين واحد، والمذهب هو مذهب الإمام الشافعي الذي يتمذهب به أهالي تهامة من غير الزيديين في اليمن، واللغة العربية لا تحتاج إلى أن تندمج في اللغة المحلية المحكية بكثرة، وهي الصومالية، لأن الجميع يعرفون العربية، أو يعرفون منها ما يكفي للتفاهم مع العرب.

ولذا فإنه لا وجه لأن يقال: إن العرب اندمجوا أو لم يندمجوا مع سكان جيبوتي من غير العرب، إلا إذا كان ذلك في أزمان سابقة كما قدمت.

قلت: إن للعرب أحياء ثلاثة معروفة في مدينة جيبوتي،

ولكن الشيء اللافت للنظر أن معظم المحلات التجارية المهمة في أحياء العرب وغيرها، حتى في الأسواق التجارية في المدينة، هي للتجار العرب.



شارع في حي العرب في جيبوتي

وعماد العرب هم اليمانيون، وقد اختلف من سألتهم من أهل البلاد عما إذا كان توجد أقلية عربية من غير اليمانيين من العرب، فأكثر الذين تحدثت إليهم قالوا: إن العرب هنا هم أهل اليمن وحدهم، ليس معهم غيرهم من العرب.

وقال آخرون: إنه ربما وجد أفراد من حضرموت، وأفراد من جبال السروات في المملكة العربية السعودية، مع أن السعوديين الذين كانوا موجودين في هذه المنطقة مثل جيبوتي وإرتيريا وإثيوبيا قد عادوا إلى بلادنا، بعد أن كثر فيها الخير، وصار العمل فيها

أكثر ربحاً من هذه البلاد، إضافة إلى الأمن والاستقرار والازدهار الاقتصادي.

ولهذا كله صار معنى قولنا العرب هنا هو معنى قولنا أهل اليمن في جيبوتي، وليس هذا بغريب، فإخواننا أهل اليمن هم من العرب الأقحاح، ولكننا هنا نذكر ما شاهدناه.

دخلنا حي العرب الذي لا يسمى بهذا الاسم، وإنما هذا وصف له وضعته من عندي من واقع حاله، وإنما اسمه (حي حُنْبلي) لم أشأ أن أذكره في العنوان، لأنه تكرر قبل ذلك.

وأهم ما تقع عليه عين الإنسان في أي حي يصل إليه هم الناس، فالناس هنا يتميزون بألوانهم البيض التي لم تجهز عليها شمس إفريقيا الشرقية التي تصبغ الأجساد بالسواد، ولكنه بياض أثر فيه الطقس، فصار بياضاً غير مشرق، وساعد على ذلك مستوى الحياة الذي لم يتقدم كثيراً عما كان عليه في الماضي القريب.

إضافة إلى الاختلاط بالزواج والمصاهرة، فصرت ترى الرجل العربي ذا اللون الذي لا تنكره في العرب، إلى جانب عربي آخر صار ذا لون داكن، وآخر لونه بين هذا وذاك، بحيث إنك لو رأيت لونه وحده على سبيل المثال الافتراضي، بمعنى أن تقاسيم وجهه ليست كتقاسيم وجوه العرب، لما عرفت أنه عربي.

وهناك اختلاط آخر لم يكن موجوداً من قبل، وهو أن هذا الحي كان خالصاً للعرب من حيث السكن، لا يشاركهم في سكناه غيرهم، أما الآن فقد أصبح يسكن فيه معهم مواطنون جيبوتيون من غير العرب، فصار حياً مختلطاً.

وهذا الأمر لا يشكو منه العرب، بل يفرحون به، لأنه لم تكن توجد بينهم مشكلات عنصرية في السابق، ولكون إخوتهم من السكان الآخرين، وهم بالدرجة الأولى من العيسى، الذين يرجعون للصوماليين في أصولهم، أو من العفر الذين هم جنس آخر ديانتهم الإسلام، ويعرفون قدراً من اللغة العربية.

ولكن هذا الاختلاط لم يمس اللغة العربية هنا بشيء، فقد تحدثت مع بعض العرب من سكان هذا الحي، فإذا بهم مثل غيرهم يتحدثون العربية، وسألت أكثرهم عما إذا كانوا يعرفون اللغة الصومالية أو اللغة العفرية، فكلهم قال: إنهم لا يعرفونها، مع انهم ولدوا وآباؤهم هنا، وذلك أن الجميع من غير ذوي الأصول العربية يعرف العربية، فلا حاجة إلى تعلم لغة أخرى غيرها.

أما لغة العيسى الموجودين في هذه البلاد، ويؤلفون نسبة (٤٥٪) من السكان، كما أخبرني به (العيسى) أنفسهم، فإنها اللغة الصومالية المحكية في بلاد الصومال شماله وجنوبه، لا تتميز عنها إلا بكونها لهجة من اللهجات يدل وجودها على قدم وجود اللغة الصومالية في تلك المنطقة من شرق إفريقية.

رأيت مسجداً قوي البنيان في الحي عنده رجل عربي سألته عن اسمه فقال: (شهاب حسن)، فقلت: من أي بلد من البلدان العربية أنت؟

فقال: من اليمن، وجميع العرب في هذا الحي من اليمن، ولا يوجد بينهم من العرب غيرهم، لا من الحضارم ولا من غيرهم.

قلت له: نحن نعلم أن اليمن حسنت حالها الاقتصادية الآن، فهل رجع أحد من اليمنيين الموجودين في هذا الحي إلى اليمن؟

فأجاب قائلاً: لم يرجع أحد، كلنا هنا، وباقون هنا.

وسألته عن عمله فقال: أنا مؤذن هذا المسجد.

فقلت وقد سمعت عربيته لم تتغير: هل تعرف لغة أخرى غير العربية؟

فأجاب: لا، قلت: وكيف تتفاهم مع الإخوة الجيبوتيين من العيسى والعفر؟

قال: كلهم يعرفون العربية.

ويبلغ عمره الثانية والثلاثين، ولم يتغير لونه، ولكن تغيرت سحنته - إن صح التعبير - فليس على وجهه إشراق، وربما كانت بعض العناصر الغذائية لا تتوافر في طعام أهل هذا الحي مثل غيرهم من أهل البلاد، مثل أن ألا يأكلوا الكفاية من الخضرات

والفاكهة، ولاحظت أن بعضهم إذا ابتسموا تبدو أسنانهم كأنما لم تعرف معجون الأسنان، ولا عرجونه (فرشاته).

بيوت الزنك

أغرب ما في هذا الحي بيوت الزنك، لا يمكن لمن لا يعرفها ولم يخبره أحد بحقيقتها أن يعرف أنها من الزنك، لأنها تبدو كما لو كانت من الإسمنت المسلح، وأكثرها مثل أكثر البيوت في الحي من طابق واحد، وفيها ما هو طابقان من الزنك أيضاً، مع أن الحي فيه بيوت من لبن الإسمنت، ولكنها ليست الأكثر فيه.



بيت من بيوت الزنك في جيبوتي

وبيوت الزنك التي نعرفها في السابق لا تكون إلا للفقراء، وهي على غاية من سوء المنظر، ولكن هذه ليست كذلك، بل

تكون مطلية مزوقة، ذات أبواب ونوافذ فيها لا يشك من يراها أنها أبواب لبيوت معتادة من الإسمنت.

وقال لي أحد الموجودين في الحي: إن أساس البناء بالزنك كون الضرائب عليه قليلة، أو قالوا: لا ضريبة عليه للبلدية، لأن الزنك اشتهر بأنه للفقراء، وبيوته صغيرة، فالناس يحتالون بذلك على البلدية حتى تعفيهم من الضريبة على البيت.

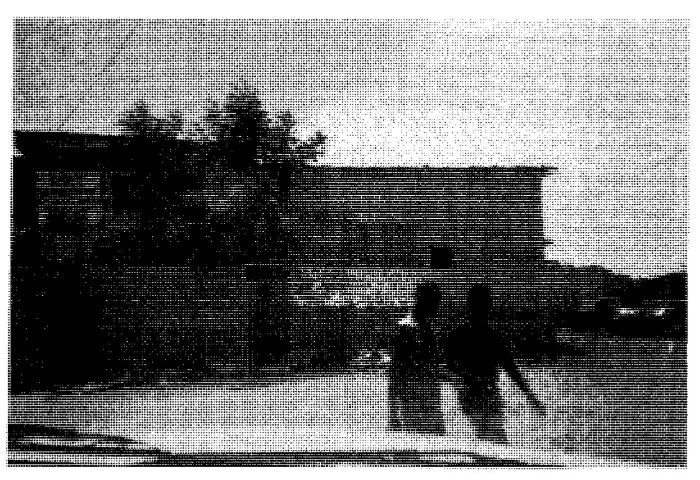
ولم يعرف المرافقون ذلك، كما لم يعرفوا مقدار الضريبة المذكورة، وإنما كانوا يسترعون انتباهي لرؤية هذه البيوت (الزنكية) العجيبة، والزنك - هنا - هو الصفيح، أو كالصفيح، وقد أصبحت الكلمة معروفة مع كونها غير عربية، بل هي عجمية دخيلة، وذكرت ذلك في كتاب: ((**كلمات دخيلة في لغتنا الدارجة**)).

حتى المدرسة

مررنا بمبنى مطلي بأصباغ خضر وصفر، بحيث بدا معتنى به، وعليه كتابة باللغة الفرنسية وحدها، ذكروا أنه مدرسة محو الأمية، وتبين عند الاقتراب منه أنه مبني بالزنك أيضاً، مع أنه مبنى جيد المظهر، وحوله سور مبني بالزنك أيضاً.

وقد ذكروا أن الحكومة الآن صارت لا تسمح ببناء البيوت

من الزنك.



مدرسة مبنية من الزنك في جيبوتي

وسألتهم عن قيمة الأرض الآن، فأجابوا بأن قطعة الأرض المعتادة عندهم هي ١٠×١٥ متراً، أي مائة وخمسون متراً مربعاً تباع بثلاثة آلاف دولار.

وهذه مساحة ضيقة، لا سيما في مثل جيبوتي التي هي بلاد صحراوية واسعة، ولكن الأهالي في أغلبهم لا يستطيعون البناء على الأرض الواسعة، أما الأثرياء منهم فإن لهم دارات (فيلات)، وبيوتاً فسيحة، ولكنهم قلة بالنسبة إلى المجموع.

كما واصلنا التجول في (حي العرب) هذا، وكنا راكبين على سيارتنا المكيفة الهواء، ورأيت فتيات من بنات العرب بلونهن

الأبيض بالنسبة إلى غيرهن، فمنعني المرافقون من تصويرهن، وقالوا: الأهالي لا يريدون التصوير، وقد يعتدون على من يفعل ذلك، وأقل ما يفعلونه له أن يحطموا المصورة.

فقلت لهم: أهذا طبع أهل هذا الحي دون غيرهم؟ فأجابوا: لا، هذا طبع الناس كلهم فيما يتعلق بتصوير الأشخاص، أما فيما يتعلق بتصوير الأشياء الأخرى فذلك ممكن، ولذا صورت شارعاً في الحي، وعدداً من بيوت الزنك.

ولاحظت أن نساء العرب يغلب عليهن التستر مثلهن في ذلك مثل نساء أهل هذه البلاد غير العربيات، أو أكثر من ذلك، فالثياب طويلة سابغة، والرأس عليه منديل، وقد يكون فوق الثياب رداء يغطي الرأس أيضاً.

أما الحجاب بمعنى تغطية الوجه والكفين فإنني لم أره.

شارع ديقول:

خرجنا من حي العرب، وسلكنا شارعاً ليس عليه بيوت متصلة، لأنه في طرف المدينة، فرأيت عدداً من الحمير تحمل أوعية من اللدائن فيها سائل، ذكروا أنها أحضرته من وادي الحنبلي، من اجل أن يشربه الناس الذين لديهم ارتفاع في ضغط الدم، لأن الماء الذي يدخل البيوت يضر بذوي الضغط الدموي المرتفع، ولا شك في أن ذلك راجع إلى وجود أملاح في الماء، وبخاصة ملح الطعام

الذي يضر بمن يكونون كذلك، أما هذا الماء الذي يحضرونه من الوادي، فإنه عذب حسبما قالوا لي.

ثم دخلنا شارع (ديقول) - نسبة إلى الجنرال ديقول رئيس فرنسا سابقاً - سمي الشارع على اسمه تخليداً لزيارته إلى جيبوتي في عام ١٩٦٧م، أي قبل استقلال جيبوتي بسبع سنين.



شارع واسع في إحدى ضواحي مدينة جيبوتي

وعلى هذا الشارع المستشفى الفرنسي، وهو غالٍ إلى درجة أنهم قالوا: إن أجرة إقامة المريض وعلاجه فيه لليوم الواحد هي ثلاثمائة دولار أمريكي.

وهذا بالنسبة لغير الفرنسيين الذين يشملهم التأمين الصحي، لذلك لا يأخذون منهم مثل هذه الأجرة .

شارع القات:

وصلنا إلى شارع واسع مستقيم وممتد، وهو تجاري عليه الحوانيت، يسمونه (شارع ١٣)، أي الشارع رقم (١٣)، ولكنني أسميته (شارع القات)، لكثرة المظلات فيه التي يباع فيها القات، فهي بالعشرات إن لم تصل إلى مائة.

وهي كالمائدة بمثابة المنصة التي يبيع منها الإنسان وهو واقف، مظللة بمظلة تقي القات أشعة الشمس فلا ييبس.

ويضع فيها بائع (القات) قاته ويبيعه وهو واقف.

و(القات) عشبة ذات أعواد، تشبه أعواد البرسيم، إلا أن في لونها شيئاً قليلاً من الحمرة مع الخضرة، وهذا يكون في بعضها، يبعد الناس عنه أوراقه، ويأكلون العيدان الدقيقة منه، يمضغونها مضغاً.

وقد اشتهر أهل اليمن بزراعة القات ومضغه، وكانت منطقة الجنوب الساحلية من المملكة العربية السعودية التي كانت تسمى سابقاً باليمن السعودي تأكله وتزرعه قبل الحكم السعودي، ولكنه الآن ممنوع فيها؛ سواء زراعته أو استيراده أو تناوله، ولا يصل إليها إلا تهريباً.

وهو - بلا شك - عندي من أنواع المخدرات الخفيفة، رغم ما يقوله أهل اليمن فيه أنه ليس كذلك، ويمدحونه بأنه يفتح لآكله

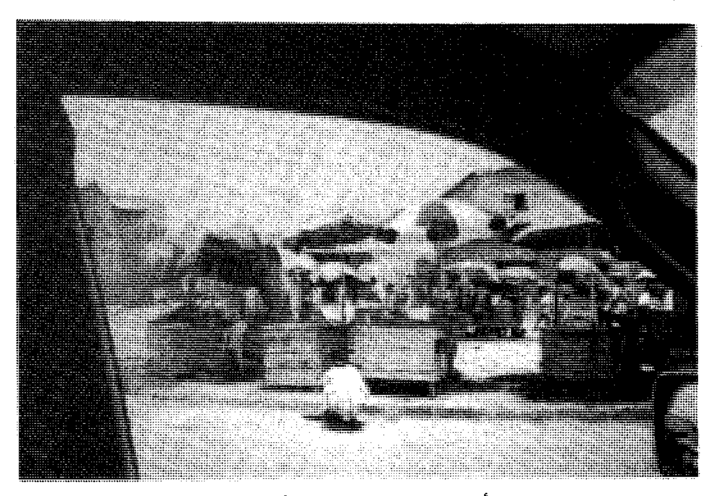
عالماً من الخيالات اللذيذة، حتى إنه يساعد الشاعر على نظم الشعر، ويساعد الأديب على تجميع أفكاره للكتابة، هكذا قال أكثر من واحد منهم ممن يتعاطونه أو يخزنونه، وهم يسمون الجلسة التي تؤكل فيها (القات) تخزين، ولها عندهم مراسم وعادات يجب أن تراعى، ويأكلونه مع حليب أو نحو ذلك من أجل ما ذكروه من أنه ينشف البطن، فالحليب يلطف أثره، ويقلل تنشيفه للبطن.

وإذا رأى المرء (المخزنين) الذي جلسوا لأكل القات بعد أن يكونوا أكلوه أو أكثرهم، وهم يحدقون في الفضاء، جزم بأنه مخدر، مع أنهم لا يفقدون وعيهم ولا إدراكهم، بل إن بعضهم يقول: إنه يستجمع أفكاره إذا أكل القات، وقد يكون هذا صحيحاً، ولكنه قد يستجمع أفكاره إلا أنه يبدد عمله، فلا يقوم بعمل جسماني وهو (مخزن) إلا إذا كان أكل قليلاً من القات ولم يكثر منه.

والدليل غير القوي على أن (القات) مخدر، أنك إذا ذكرت ضرره لآكله، بل لعامة الناس من أهل اليمن وقلت لهم: إنه مخدر غضبوا منك وسفهوا رأيك، وإذا كنت ممن يمكن أن يضرب فقد يضربك جهالهم، مثلما يفعل متعاطو المخدرات.

وذلك خلاف شارب الدخان مثلاً الذي إذا ذكرت مساوئ التدخين قال لك: هذا صحيح، ولكنه بلوى بلينا به، ولا أستطيع

التخلي عنه إلا بصعوبة.



بعض أماكن بيع القات في جيبوتي

وأذكر أننا وضعنا في جدول الأعمال لإحدى دورات المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي مسألة الحكم الشرعي في (القات)، وهل هو حرام أم مكروه، وأعلنا ذلك في الصحف، فبادرت السفارة اليمنية في المملكة، وطلبت منا عدم بحث (القات) إلا بحضور علماء من أهل اليمن الذين يعرفون حقيقته، وسبق لهم أن بحثوا ذلك، لأن المجمع قد يحكم عليه بحكم يقتضي تحريمه دون أن يطلع على حقيقته، ولا على أثره على آكله، فيكون في ذلك تأثيم من يأكلونه، والحكم عليهم بأنهم يتناولون محرماً، وذلك أمر لا يجوز - كما ذكرت السفارة - إلا إذا بحث أمره العارفون به وآثاره.

ثم اتصلت السفارة اليمنية بجهة من الجهات في الدولة، فاتصلت تلك الجهة بالرابطة، وأخبرتها أنها ترى عدم إصدار حكم في (القات) إلا بعد حضور فقهاء من أهل اليمن، لأنهم أعرف به من غيرهم.

وهكذا استبعد بحث حكم (القات) من جدول العمل في المجمع الفقهي.

وقد بحثت فيه مع بعض العلماء اليمانيين الذين أثق بعلمهم وديانتهم وأمانتهم وصدقهم، فكانوا يقولون لي: إنه ليس بمخدر، وإنما هو مثل القهوة والشاي، ولكن ضرره في غير ذاته، مثل ما يترتب عليه من إضاعة المال والوقت، حتى إن بعض الناس ينفق نصف دخله على القات، وحتى الغني من الناس ينفق جزءاً ثميناً من وقته في التخزين، وهو أن يلبث ساكناً جالساً وهو يتناول القات لمدة طويلة.

وأذكر بهذه المناسبة أنني كنت مرة في أحد فنادق مدينة نيروبي عاصمة كينيا، وكان في الطابق الذي نحن فيه أحد الإخوة اليمنيين، فرأيته في إحدى الليالي جالساً في قاعة توزيع الغرف في الفندق، مع إبريق الحليب وأعواد القات الخضر يمضغها، والناس نائمون، ثم نمت وخرجت فوجدته لا يزال كما كان، حتى مضى هزيع من الليل وهو على هذه الحالة، فسألته عن حاله؟ فقال: هكذا يفعل من يأكل القات لأن أكله يطرد

النعاس.

وقد اشتهر اليمن بزراعة القات، ولكن دخل في حلبة زراعته الأحباش، أو على الأدق أهل إثيوبيا، فصاروا يزرعونه ويرسلونه بالطائرة إلى عدن، لأن ما ينتجه اليمن لا يكفي أهله من هذه المادة.

وكنت رأيت في مدينة (دردوا) في إثيوبيا عندما زرتها في عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م سوقاً ضخماً يسمى (سوق القات)، لا يباع فيه إلا القات وحده دون غيره.

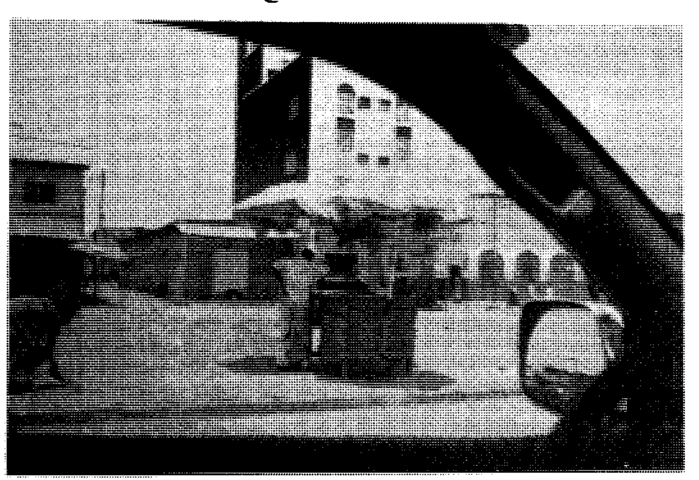
أما أهل جيبوتي فإنهم يستوردون القات من إثيوبيا، وليس من اليمن، يأتيهم بطائرة صغيرة من هناك، وهو منتشر في جيبوتي، حتى قال لي أحد العارفين: إنه ربما كان نصف السكان يأكلون القات، إلا أن طلاب المعهد السعودي والذين درسوا في البلدان العربية صاروا لا يأكلونه، وهذا خلاف ما عرفناه عن أهل اليمن الذين يكونون في بلادنا، لا يأكلونه لعدم وجوده، ولكنهم إذا عادوا إلى اليمن عادوا لتعاطيه.

وحدثنا بعض الإخوة من أهل جيبوتي أن الطائرة التي كانت تحضر القات من الحبشة تأخرت مرة لسبب من الأسباب، فأغلقت كثير من الحوانيت - الدكاكين - وعطلت بعض الأعمال، لأن بعض الذين يتعاطونه لم يستطيعوا العمل بدونه.

قالوا: ومرة أخرى حصل خلاف بين حكومة جيبوتي وبين موردي القات، فتأثر كثير من الناس، وحصل مثلما ذكرنا.

ويذكر أن الحكومة الجيبوتية تبيح أكله، وتأخذ ضريبة على بيعه.

وقد رأيت من كثرة موائد بيع القات في هذا الشارع ما أزعجني، وصورت بعضها، وبخاصة أنني رأيت بعضها في صفوف طويلة متراصة، مما يدل على كثرة البيع فيها.



بائع قات بجانب صندوقه تحت مظلة

مع أن تلك الموائد التي تبيع القات ليست في حوانيت، وإنما في أرصفة الشارع، ولكنها تبيعه في هذه الأمكنة بناء على رخصة من الحكومة، وبإذن وتنسيق من البلدية، وإلا فإن الشارع فيه

حوانيت تبيع غير القات، بل حتى على الأرصفة لديهم بضائع خفيفة كالملابس ونحوها، ولكنهم أقل بكثير من باعة القات.

وفيما يتعلق بالسماح ببيع القات في جيبوتي نذكر أن الحكومة الوطنية الصومالية التي تألفت بعد استقلال الصومال قد حرمت بيعه في البلاد، وفرضت عقوبات صارمة على من يبيعونه.

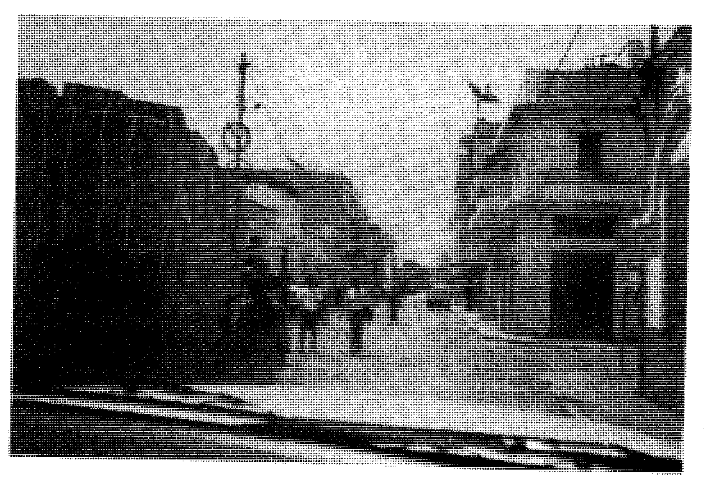
وفي اليمن حاولت الحكومة التي كان يرأسها (محسن العيني) الحد من تعاطي القات، ولكنها لم تنجح، إلا أنه توجد الآن حركة في اليمن متنامية من المثقفين، والذين لديهم وعي صحي تحارب (القات)، ولكن العامة الذين هم الأكثرية الساحقة على خلاف ذلك.

وقد أوقفنا السيارة، ونزلنا نتمشى في شارع رقم (١٣) هذا، فلاحظت هنا ما لاحظته في أماكن أخرى من المدينة من كثرة الشبان والرجال الذين لا عمل لهم، أو هم يبدون كذلك، ورأيت في السوق مسجداً صغيراً عليه اسمه بالعربية وحدها: (**مسجد جامع التوبة أسس عام ١٩٥٧م جيبوتي**).

منطقة الأسواق التجارية:

تقع منطقة الأسواق التجارية في وسط المدينة الجديدة غير

بعيدة من حي الجزيرة الذي يقع فيه فندقنا، ويقع فيها أهم المساجد من حيث الوضوح والشهرة وكثرة المصلين، وربما كان أكبرها في المدينة وهو مسجد حَمودي، وقال لي عدد منهم: إنه أول مسجد أسس في مدينة جيبوتي، ولكن اتضح لي بعد ذلك أن هذا الأمر ليس على إطلاقه، فقد أنشئ بعد مسجد السيد حسن الذي كان أول مسجد في المدينة، ولكن مسجد حمودي أكبر وأشهر ويتوسط المدينة، لذلك ظن بعض الناس أنه أول المساجد فيها.



شارع في القسم التجاري من مدينة جيبوتي

وقفنا في الأسواق التجارية وسط (شارع برازافيل) الذي سمي على اسم مدينة برازافيل عاصمة جمهورية الكنغو التي كانت مثل جيبوتي مستعمرة فرنسية، فأوقفنا السيارة عند حوانيت تبيع

البضائع التي يرغب في شرائها السياح في العادة، واشتريت بيضاً من بيض النعام هدية لأولادي، أما أنا فإن في خزائن التحف عندي مجموعة منها لا بأس بها، أحضرتها من عدة أماكن في إفريقية، منها تشاد والكاميرون، ولكنها هنا غالية الثمن، لأنهم يحضرونها من إثيوبيا حسبما قالوا لي، فالبيضة الواحدة يبيعونها بتسعة دولارات أمريكية مع قاعدة لها من الجبس، كما اشترى بعض الإخوة السعوديين شيئاً مما عندهم.

جامع حَمُودي:

من شارع برازافيل تبدو مئذنة جامع حَمُودي، بل يبدو المسجد ظاهراً بل واضحاً، وقد ذهبنا إليه من هذا الشارع التجاري.

وحَمُود الذي أضيف إليه ينطق بفتح الحاء وتخفيف الميم، أي عدم تشديدها، وهو شخص محسن ثري من أهل اليمن فيما ذكروه لنا، وعهده قديم نسبياً، إذْ بنى المسجد منذ مائة سنة على وجه التقريب، وللشيخ حمود مآثر وحسنات كثيرة باقية حتى الآن.

ونظراً لأهمية هذا الشارع التجاري من كونه فيه مجموعة لا بأس بها من الحوانيت - الدكاكين- التي تؤجر ويصرف ريعها فيما يحتاجه المسجد الجامع، ولذلك لا يحتاج إلى المساعدة المالية من الخارج.

والمسجد كبير، حوله متسع من الأرض خالٍ من الأبنية،

بمثابة الميدان القديم للبلدة، وهذه هي العادة القديمة المتبعة في المدن حتى في بلادنا، حيث يكون بجانب المسجد الرئيسي الذي يكون في الغالب أول المساجد فيها، أو المسجد الرئيسي من بين مساجدها، ويكون بمثابة ميدان للبيع والشراء، وبخاصة بيع الأشياء من خارج البلدة.



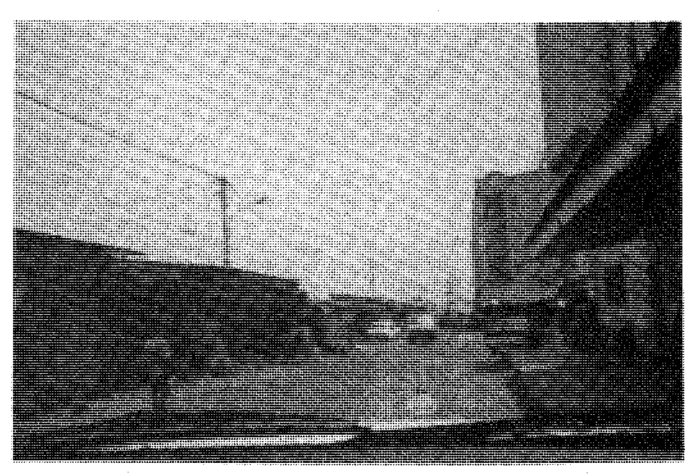
جامع الشيخ حمودي في جيبوتي

وكنت أظن أن هذه عادة متبعة فقط في البلدان الإسلامية، ولكنني وجدتها كذلك في المدن والبلدان الأوربية لا تزال باقية حتى الآن في المدن التي لم تتطور العمارة فيها، أو لم يتغير عدد سكانها، إذ إنهم يجعلون الكنيسة في قلب المدينة، بجانبها الميدان الرئيسي فيها، ثم تنمو البلدة حول هذا الميدان والكنيسة.

وهنا رأينا الميدان الواقع بجانب المسجد مزدحماً بالباعة،

وبخاصة باعة الخضرات المستوردة مـن إثيوبيـا ، وسـيارات الأجـرة التي تسافر إلى القرى والأرياف، وفيها أيضـاً حـافلات صغيرة تنقـل الناس إلى أماكن معينة.

ألقينا نظرة سريعة على المسجد وما حوله، فرأينا العناية فيـه ظاهـرة، بحيث لم نلاحظ أي نقـص ـ في عمارتـه، أو أي شـيء يحتـاج إلى علاج ولم يصلح، مع أننا كنـا علـى عجلة مـن أمرنـا ، ولم نجـد المسؤول عن المسجد فيه، ولم يكـن الإخوة وضعوا زيارتنا له خـاصة ـ في البرنـامج، وإلا كـان صديقنـا الوزيـر (موجـي درر سمـتر) وزيـر الشؤون الدينية والأوقاف قد أعد ذلك كله، لأنـه هـو المسـؤول عـن شؤون المساجد وما يتعلق بها من أوقاف ونحوها.



المنطقة التجارية في جيبوتي

ثم وقفنـا ـ في (شـارع باريس)، وهـو شـارع تجـاري يصـب مثـل

شارع برازافيل في شارع بياري المسجد، ويرى منه المسجد واضحاً، بل إنه لا يرى منه غيره من الجهة التي هو فيها.

وشارع باريس مثل الشوارع الرئيسية في هذه الأسواق التجارية ذو حوانيت متلاصقة، تبيع كافة أنواع السلع، حتى إن فيه من يصرف كل العملات المعروفة.

ومن الطريف أنني احتجت إلى أن أصرف نقوداً سعودية ثمناً لبيض النعام التي اشتريت منها عشراً، فصرفها لنا الإخوة المرافقون من امرأة في الشارع، صرفتها قريباً مما يكون صرفها في المصرف الرسمي، مع أن الحركة الجمركية بين جيبوتي وبلادنا ليست نشطة كما هي عليه الحال بينها وبين إرتيريا على سبيل المثال، ولكن الريالات السعودية مطلوبة للمعتمرين والتجار.

ومما يجدر ذكره أن عملة جيبوتي هي الفرنك المسمى (فرنك جيبوتي)، وهو عملة ثابتة القيمة، لأنها مربوطة بالفرنك الفرنسي، مثلها في ذلك مثل فرنك غرب إفريقية المعروف بالسيفا، وحتى هناك أراضٍ فرنسية فيما وراء البحار لها (فرنكها) الخاص بها، ولكنه مربوط بالفرنك الفرنسي من حيث القيمة، وقد رأيت ذلك في عدة أماكن متباعدة، مثل فرنك (تاهيتي) التي هي أرض فرنسية في أقصى أقاصي بحار الدنيا، وهو جنوب المحيط الهادئ إلى المشرق الجنوبي من أستراليا، وذكرت ذلك في كتاب: ((**تائه**

في تاهيتي)) وهو كتاب مطبوع.

حي رقم واحد:

بعض أحياء جيبوتي وشوارعها تسميتها بالأرقام كما سبق لنا ذكر اسم شارع القات، وأنه رقم (١٣)، ومن ذلك حي وصلنا إليه في طريقنا للفندق من عند مسجد حمود، واسم الحي رقم (١)، وهو حي راقٍ فيه فنادق وبنوك (مصارف)، وهو منسق المنازل، وأبنيته متعددة الطوابق، إلا أن شوارعه ليست واسعة، سرنا فيه مع شارع بومبيدو المسمى على اسم (بومبيدو) أحد رؤساء فرنسا السابقين، ويفضي هذا الشارع إلى مكان لا يبعد كثيراً عن القصر الجمهوري.

وعلى شارع (بومبيدو) هذا كنيسة كاثوليكية، وأخرى أورثوذكسية، ثم عدنا إلى الفندق في الواحدة والنصف.

المأدبة الكبيرة:

أقام لنا الملحق الديني بالسفارة السعودية في جيبوتي الأخ الشيخ (فهد بن محمد فالح البرقي)، وسمعت بعضهم يسميه (فهيد) مأدبة غداء فخمة واسعة، هي أكبر من أكبر المآدب التي أقيمت لنا حتى الآن عدة مرات، وكان ألح عليَّ في أن يقيم مأدبة غداء يدعو إليها العلماء والدعاة، ليجمعنا بهم ولأتعرف عليهم،

فامتنعت من ذلك تلافياً لما يترتب عليه من جهد ونفقة، ولكنه لم يكف عن الإلحاح في إجابة الدعوة، حتى أجبته وطلبت منه أن تكون صغيرة مختصرة، ولكن كانت عكس ذلك.

ذهبنا إليه في الساعة الثانية حيث أقيمت المأدبة في مكان مهم، أظن اسمه (قصر الضيافة)، فأول اسمه كلمة قصر أما كلمة الضيافة فيه فلا أحفظها.

وجدناه دعا أعداداً كبيرة من العلماء والدعاة وكبار الموظفين وأئمة المساجد في جيبوتي، ومنهم وزراء كالوزير (موجي)، وخلفه في رئاسة المحاكم الشرعية، وجميع السعوديين الموجودين في جيبوتي، من جمع ضاقت به القاعة الواسعة التي هي معدة للاحتفالات والاجتماعات الكبيرة، وقد جلسوا على حشايا مستندين على حيطان القاعة، كما هي العادة القديمة عندنا في القديم.

وقدرت عدد المدعوين الموجودين بنحو تسعين مدعواً، وذلك غير الذين كانوا واقفين، أو ضاق المكان عن جلوسهم، ويقدر عددهم بالعشرات.

كما دعا قضاة المحاكم الشرعية والدعاة من الصومال الموجودين في جيبوتي.

وبعد ترحيب رأيت أنه مبالغ فيه، لأنني لا أستحقه كله،

وبعد السلام والمصافحة من المدعوين تكلم الشيخ الداعي (فهد البرقي) مرحباً، وقال في كلامه: لقد اجتمع هؤلاء الإخوة من المشايخ والدعاة وكبار المواطنين في الدولة ليرحبوا بكم، وليستمعوا إلى كلمة منكم عن الموضوعات الإسلامية العامة، وخاصة مما اطلعتم عليه من أحوال المسلمين في أنحاء العالم أثناء رحلاتكم المباركة في مشارق الأرض ومغاربها.

فألقيت فيهم كلمة بدأتها بحمد الله تعالى الذي قدر هذا الاجتماع المبارك بهؤلاء الإخوة من العلماء والدعاة والعاملين في الحقل الإسلامي، وقلت: إن الفضل في هذا - بعد الله تعالى - لأخينا الكريم الشيخ فهد البرقي حفظه الله وجزاه عنا خيراً.

ثم قلت: إن الحديث عن الإخوة المسلمين في العالم هو حديث ذو شجون، وأكثره حديث سار مفرح، حتى إن بلداناً قصية دخلها الإسلام بصفة رسمية، متمثلة بإنشاء جمعيات إسلامية تعترف بها حكومات تلك البلاد، ومن آخرها (جزر سليمان) الواقعة في جنوب المحيط الهادئ، والمعروفة باسمها الإنجليزي (سلمون آيلندز)، ومن الملاحظ أن الإسلام يتقدم وينتشر في البلدان ذات الإدارة الحديثة والتقدم العلمي والصناعي مثل أوربا، ففي مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا، وتعتبر عاصمة أوربا من بعض الجهات، لأن فيها مقر الاتحاد الأوربي، يوجد حي واحد، فيه تسعة عشر مسجداً، وكان أول مسجد أنشئ فيه عام ١٩٧٤م، فكل هذه المساجد نشأت بعد

ذلك التاريخ، وحدثني الأخ مصطفى النوحي، وهو مغربي حاصل على الجنسية البلجيكية، أن أول جمعة أقيمت في هذا الحي هي في مسجد يؤم فيه، وذلك في عام ١٩٧٤م، وكان عدد المصلين فيها (١٢)مصلياً، وأما الآن، فإن المصلين في هذا المسجد نفسه قدر عددهم في الجمع الماضية القريبة بما يزيد على ألف وثلاثمائة مصلٍ في الجمعة الواحدة، وكانوا اشتروا بيتاً بجانب المسجد ووسعوه، ثم اشتروا بيتاً آخر بجانبه من الجهة الأخرى وأدخلوه في المسجد أيضاً.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية التي هي قمة التقدم المادي والإداري، وأكبر قوة عسكرية واقتصادية في العالم، ينتشر الإسلام بشكل حثيث، ويمكن الاستشهاد على ذلك بما قاله رئيسها: (بيل كلينتون) أمام تلفازات العالم وإذاعاته وممثلي صحفه، قال: إن لدينا في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر خمسة ملايين مسلم يتجهون بصلواتهم إلى مكة، ثم قال: إن الدين الإسلامي الآن هو أسرع الأديان انتشاراً في العالم.

وقد خطب وزير أمريكي بعد كلام الرئيس بنحو شهرين، فذكر أن عدد المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية هو ستة ملايين.

وقد رأيت بنفسي في آخر زيارة لي إلى أمريكا قبل شهور أن مسجداً في مدينة نيويورك صليت فيه الجمعة قد امتلأ بالمصلين مع

انه ليس بصغير، حتى إن الرصيف الذي يقع فيه قد امتلأ بالمصلين أيضاً.

هذا في الوقت نفسه الذي تشكو فيه أكثر الكنائس في العالم من قلة من يأتون إليها للصلاة والعبادة.

وهذا فيه أبلغ رد على من يقولون: إن الإسلام انتشر بالسيف، وإنه لولا السيف لما انتشر في العالم، فنحن نقول لهم: أين سيف الإسلام الذي انتشر به في الولايات المتحدة وأوربا في الوقت الحاضر، والمسلمون - مع الأسف الشديد - قد ضعفوا، والمراد بذلك أولياء الأمور في أكثر البلدان الإسلامية، حتى صاروا يغزوهم غيرهم، ولا يغزون أحداً، وليست لديهم سيوف يقاتلون بها للدفاع عن أنفسهم، فضلاً عن نشر الإسلام بالسيف في الدول الأخرى.

ولقد أفزع ذلك دوائر التنصير والعاملين فيها في القارة الإفريقية، إذ كانوا يبذلون الأموال، ولديهم الإمكانات الضخمة في الوقت الحاضر، والمنح الدراسية، فضلاً عن المدارس والمستشفيات، على حين أن الدعاة إلى الإسلام ليس لديهم شيء من ذلك، ومع ذلك يدخل في الإسلام أكثر ممن يدخلون في النصرانية في الوقت الحاضر، بل إن كثيراً من الأشخاص الذين نصرهم المنصرون دخلوا في الإسلام.

مما جعل أولئك المنصرين وغيرهم من المعنيين بهذا الأمر يقولون: إن الإسلام فيه قوة ذاتية، ويتساءلون عن تلك القوة الذاتية ما هي، وما مصدرها.

ولا ينبغي أن يقول قائل: إنهم نصّروا دولاً عديدة في إفريقية، هذا صحيح، ولكنه كان قبل أن يبدأ المسلمون بالدعوة إلى الله، وهناك ملاحظة أن الأوربيين صارت لهم خبرة في كيفية التعامل مع الشعوب الأخرى منذ عهود الاستكشاف الأوربي قبل أربعمائة سنة.

أما اتصال المسلمين بالمناطق النائية في إفريقية بغرض الدعوة إلى الله، فإنه حديث العهد، ربما لا يزيد على خمسين سنة، مع قلة الإمكانات لدى الدعاة، بسبب عدم الوعي بأهمية الدعوة عند جماهير المسلمين من الأغنياء وأمثالهم في بلاد الأكثريات المسلمة.

أيها الإخوة من المشايخ والدعاة، إن ذلك كله يوجب علينا أن نضاعف جهودنا، وأن نحرص على أن نستفيد من الإمكانات الموجودة عند إخواننا المسلمين في بلاد الأكثريات المسلمة، وألا نعتمد على أن الإسلام نفسه دين دعوة فقط، لأنه كذلك، ولكنه يحتاج إلى حكمة وبصيرة بالدعوة، كما قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل ١٢٥].

ويحتاج الأمر أيضاً إلى رعاية المسلمين الجدد، رعاية ثقافية، ورعاية اجتماعية مهما أمكن ذلك، من أجل تثبيت الإسلام في

نفوسهم، ومساعدتهم على العقبات التي يواجهونها بعد إسلامهم، ومنها، بل ربما كانت من أصعبها، المشكلات الناشئة عن اعتراض الأهل والأقارب من غير المسلمين إذا كانوا متعصبين لديانتهم الباطلة.

ويجب على كل واحد منا أن يسهم في الدعوة الإسلامية بما يتيسر له من جهد أو مال، كلٌّ بقدر استطاعته، و ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة ٢٨٦] .ومساعدة الدعاة بالمال أمر له أهميته لأن الرسول ﷺ يقول: (**من جهز غازيا فقد غزا**).

ثم دعوت لهم بما تيسر دعاءً أمّنوا عليه، نسأل الله تعالى أن يقبله.

وبعد ذلك دعونا إلى تناول الطعام، فانتقلنا إلى قاعة أخرى واسعة، قد بسطت فيها السفر - جمع سُفرة -، وهي التي توضع فوقها آنية الطعام، وفوق السفرة صحون كبيرة مليئة بالأرز، على كل واحد منها جدي، وهو التيس الصغير.

ولكون القاعة واسعة، جعلوا الآكلين يتحلقون على كل سفرة، فصاروا وسطها أشبه بالدوائر من الآدميين، قاعدتها ذلك الصحن من الأرز الذي يعلوه التيس الصغير، وكانت الصحون والذبائح كثيرة إلى درجة أنني لم أستطع أن أعدها وأنا على

مائدتي التي كان عليها بجانبي الوزير (موجي) ورئيس المحكمة العليا وبعض كبار الموظفين من أهل جيبوتي، ولكن الذين معي في الوفد من السعوديين وهما اثنان: الأستاذ سمير راضي، وطلال حكمي، أخبروني أن عدد الذبائح ثلاث عشرة ذبيحة.

وهذه الموائد تقليدية هنا، إذْ لا تكون معها خضرات، وإنما الفاكهة من الموز والبرتقال، وأحضروا مقادير ضخمة مما هو أغلى من المياه المعدنية أو المصفاة، من الأشربة الغازية في سخاء عجيب، بحيث إنني رأيت بعض الناس يشربونها لمجرد اللذة بذلك، وإن لم يحتاجوا إليها، وذلك لنفاستها عند عامتهم، وقلة دخولهم، وقد أمعنا والذين على مائدتنا في أكل الأرز ولحم الجداء الذي هو لين سهل المضغ والبلع، ولكن ليس للحمه طعم اللحم الموجود في بلادنا، ربما كان ذلك لاختلاف المرعى، أو لكونهم لا يتركونه حتى يكبر ويصبح لحمه كاللحم المعتاد.

وكانت الأحاديث المتنوعة المتعلقة بأحوال هذه البلاد شهية كالمائدة، ثم ودعنا الجميع شاكرين للأخ الشيخ الداعي (فهد بن محمد فالح البرقي) أثابه الله.

تأجيل المؤتمر اليوم:

لم ينعقد مؤتمر السلام الصومالي أمس لما ذكرته، وكان مقرراً أن ينعقد بعد ظهر اليوم، غير أن أحد المشتركين فيه توفي،

فأبى قومه والقريبون من قبيلته أن ينعقد المؤتمر في يوم وفاته، لأنهم يكونون مشغولين بتجهيزه وتلقي العزاء.

وكان من المقرر أن أتكلم فيه اليوم، فأجل ذلك إلى يوم غد الأربعاء، مع أن غداً هو يوم السفر، وفيه مخاطرة من عدم انعقاد المؤتمر.

وكان مقرراً في الأصل قبل أيام أن يفتتح رئيس جمهورية جيبوتي الجزء الثاني، أو لنقل: إنها المرحلة الثانية من هذا المؤتمر، وهي الأهم، لأنها سوف تناقش تأليف أو تعيين أعضاء البرلمان الذين سيكونون من كبار المدعوين الحاضرين في المؤتمر، وسوف تنعقد جمعيتهم أو جماعتهم إذا تألفت، فتكون بمثابة البرلمان الذي يؤلف الحكومة الوطنية المؤقتة من كبار المدعوين الذين يؤلفون القبائل الصومالية الحاضرة، والشخصيات الأخرى، على أن تستمر هذه الحكومة التي هي مؤقتة فترة من الوقت، ربما تكون سنتين أو ثلاثاً، تجري بعدها أو أثناءها انتخابات برلمانية تنشأ عنها حكومة مستقرة.

مقابلة شيخ الهوية:

قبيلة (الهوية) الصومالية من أكبر القبائل الصومالية التي تردد اسمها في الأخبار أثناء الاقتتال الأهلي بين القبائل الذي أعقب سقوط حكومة الرئيس (زياد بري)، الذي كان تصرفه السبب

المباشر في هذه المآسي التي تحيط بالصومال في الوقت الحاضر.

ولعظم هذه القبيلة وكثرة فروعها انشقت فيما بينها إلى عدة فرق، صارت بعض فرقها تقاتل بعضاً، حتى عجب الناس أن ينتهي الأمر بالقبلية التي عرف الناس فيما بعد أنها سبب تفاقم الحالة المزرية من الاقتتال الوطني في الصومال، كيف تنشق القبيلة التي كانت تقاتل القبيلة الأخرى إلى ما يشبه القبائل، لأنها انقسمت إلى فروع متناحرة.

وقد طلب شيخ قبيلة (الهوية) هذه مقابلتي، فترددت في الاستجابة لمطلبه لأمور، منها كرهي لشيوخ القبائل التي كان بعضها يسفك دماء بعض بحجة الدفاع عن القبيلة، أو التعصب لها، مع كون الجميع من الإخوة المسلمين الذين يشتركون في كل شيء مهم، من الأصل الصومالي العريق، إلى اللغة الوطنية الواحدة، إلى ما هو أهم من ذلك وهو الدين الإسلامي السني، بل حتى المذهب من الفروع، وهو مذهب الإمام الشافعي للجميع.

ومنها أنني إذا قابلت شيخ قبيلة دون شيوخ القبائل الأخرى كان في ذلك عدم رضا منهم، أو على الأقل اعتقاد بسوء التقدير.

ومنها: أنني أعتبر شيوخ القبائل من أمراء الحرب الذين يقع عليهم جزء كبير من هذه الحالة المؤلمة في الصومال.

ومع ذلك وجدتني أوازن بين الاستجابة لطلبه والامتناع عن

ذلك، فوجدت أن الاستجابة قد تكون هي الأفضل، لا سيما أنه هو الذي طلب المقابلة، ولم يطلبها غيره من شيوخ القبائل فأمتنع عنها.

وقال الإخوة: إنه طلب أن يكون معه صحفي، فامتنعنا من ذلك، فقال: إنه مترجم، فقلت: لا بأس.



شيخ قبيلة الهوية (مع العصا) على يمينه المؤلف

دخل شيخ الهوية واسمه (إمام محمود بن إمام عمر) غرفة الاستقبال في الجناح الذي أسكن فيه في الفندق، شيخاً بهياً مديد القامة، يلبس الملابس الصومالية التقليدية، ومن ذلك أنه يضع على رأسه قلنسوة (طاقية) ملونة منقوشة، وعلى كتفه منديل ثمين أظنه من الحرير أو ما يقرب منه، وبيده عصا غليظة، مع أن عمره ستون سنة كما أخبرني.

ويرتدي عباءة مزينة بزينة من الخيوط، رخيصة الثمن بالنسبة إلى العباءات المعروفة في بلادنا، ولكنها ليست كثيرة الوجود على الصوماليين فيما رأيته.

بعد أن استقر به المجلس رحبت به، وقلت له: إنني أرحب بمن يمثل جماعة كبيرة من إخواننا الصوماليين، وإن كانت شابت ذلك شوائب مؤسفة كنا نتابعها، فنعجب من استمرارها لمدة طويلة، مع وجود أمثالكم من قادة الصومال، ورجال القبائل الذين يتصفون بالزعامة التي تكون معها في الغالب الحكمة، لا سيما أنك مسلم عريق، تعرف أن الإسلام ينهى عن أن يؤذي المسلم أخاه المسلم، فضلاً عن أن يقتله، ونحن لا نتهمكم بقتل إخوانكم، ولكننا نعرف أنها فتنة يؤثر فيها على الإنسان واقعه في القبيلة، وزعامته لها، ونرجو أن تستعملوا نفوذكم ومنزلتكم الرفيعة في القبيلة لحل هذه الأزمة التي طالت، وتضرر منها جميع الصوماليين.

وكأنما لمست وتراً حساساً في شعوره، لذا رأيته كأنما تأثر من كلامي، وأراد أن يرد عليه قبل أن أكمل، فأفسحت له المجال لذلك فقال:

أنا رجل مسؤول، وأنا زعيم قبيلة، وخلفي أناس يدفعونني لنصرتهم إذا خاصمهم أو قاتلهم آخرون، فلا أستطيع أن أتخلف عن نصرتهم.

فقلت له: إننا نقدر ما ذكرتموه، ولكنك أنت عليك مسؤولية عظيمة بقدر مكانتك العظيمة في القبيلة، من أجل الصلح بين الصوماليين، والخروج من هذه الحالة المزرية بالصومال والصوماليين.

وقد أعطاك الله من النفوذ على قبيلتك، والمكانة في قومك ما تستطيع أن تستغله لهذا الغرض النبيل.

وقلت له: إننا - نحن المسلمين - الذين تمثلهم رابطة العالم الإسلامي لا نعرف إلا الصومال المسلم بشعبه المسلم كله، الذي لا يوجد له نظير بين الدول، في كون كل الشعب من المسلمين إلا ثلاث دول في العالم، هي المملكة العربية السعودية، وموريتانيا، وجزر مالديف، ولا نعرف القبائل الصومالية أو الطوائف، أو حتى الأقاليم فيه، فكلكم صوماليون مسلمون، وكلكم إخوة، وكلكم بحاجة إلى إخوانكم الصوماليين في النهوض ببلادكم، وتأمين مستقبل أولادكم.

وثقوا أن التاريخ سوف يحاسب كل شخص منكم على فعله، فحذار أن يحكم عليكم بشيء غير طيب يسجل عليكم إلى يوم القيامة.

فقال: هذا صحيح، وسوف أبذل جهدي، ولولا محبتي في الصلح وإنهاء هذا المشكل، لما حضرت إلى جيبوتي، وتركت

مصالحي ومصالح القبيلة في الصومال.

فقلت له: إنني سمعت أن هناك خلافات، وبخاصة ممن يسمون بالأقليات الذين هم من القبائل الصغيرة، وممن لا ينتسبون إلى قبيلة من أهل النواحي والمدن، هم الذين تسببوا في إرجاء الاتفاق، لأنهم يريدون تمثيلاً أوسع في هذا الذي سوف ينتخب أعضاء الحكومة، فقال: سوف أبذل جهدي، ولا أدع طريقاً للصلح إلا سلكته، فدعوت له بالتوفيق وقلت له: إننا تقديراً لعملك إذا تم الصلح، ندعوك إلى الحج على ضيافة رابطة العالم الإسلامي، وإلى أداء العمرة ضيفاً على الرابطة، بعد أن تحل هذه المشكلة، وتؤلف الحكومة الصومالية المؤقتة، أما إذا لم يتم ذلك، فإن دعوتك سوف يعتبرها الآخرون من خصومك أو غيرهم انحيازاً لجانب دون آخر من الصوماليين.

ثم امتد الحديث معه إلى شؤون أخرى، حتى تجاوزت الساعة السادسة، وكان حضر في الخامسة، ولاحظت أنه يتكلم بوساطة مترجم، فلا أدري أذلك لكونه لا يعرف شيئاً من العربية، أم لكون الموضوع حساساً يحتاج إلى ألفاظ دقيقة، ربما لا يعرفها من العربية.

هذا وبعد خروجه وذهابه من عندنا، حضر بعض أصدقائنا من الإخوة المثقفين الصوماليين، ومنهم الشيخ محمد أحمد نور الذي سبق ذكره، فبحثنا معهم في هذا الموضوع المهم.

يوم الأربعاء: ٥/ ٣/ ١٤٢١هـ - ٦/ ٦/ ٢٠٠٠م

مع ممثل الأمم المتحدة:

سألنا عن موقف الأمم المتحدة والجامعة العربية من هذا المؤتمر الذي يعقد بين الصوماليين لحل معضلة الصومال، فذكروا أن الجامعة العربية أبدت كلمة أو كلمتين من كلمات التشجيع والأماني الطيبة، أما الأمم المتحدة فإن الأمين العام لها عين ممثلاً خاصاً لدى المؤتمر، هو مدير مكتب الأمم المتحدة في جيبوتي.

وقد ظن مدير مكتبي الرابطة والإغاثة في جيبوتي أنني أرغب في الاجتماع به لما علمه من شدة اهتمامي بكل ما يتعلق بهذا الأمر، فأخذ موعداً منه في صباح هذا اليوم.

ذهبنا إليه في مكتبه، فكان أول ما لاحظته أن العاملات في المكتب يلبسن لباساً كاللباس الإفرنجي، إلا إنه غير قصير، ما عدا قلة، منهن أخت مترجمة من العربية إلى الإنكليزية، فكان عليها لباس محتشم، فوقه الرداء الذي يستر الرأس والكتفين.

واسم الرجل دافيد استيفن، وهو إنكليزي الجنس، وبريطاني الجنسية.

واستقبلنا الرجل في مكتبه مرحبا ترحيباً زائداً، إلا أنه ظهر من تصرفاته أنه ليس على مستوى رجال السياسة المتمرسين.

بعد أن جلسنا معه وبصحبتنا أعضاء الوفد، والأخ (كرم ..كرم) منسق أنشطة رابطة العالم الإسلامي وهيئة الإغاثة الإسلامية في الصومال، أخبرته بأننا من رابطة العالم الإسلامي، وأننا جئنا إلى جيبوتي للاطلاع على الجهود التي تبذلها حكومة جيبوتي لإنجاح المؤتمر قال:

نحن في الأمم المتحدة مهمتنا في الوقت الحاضر هي ملاحظة ما يجري، وحكومة جيبوتي لا تحب التدخل في شؤون المؤتمر.

فقلت له: إن حكومة جيبوتي تتحمل الآن نفقات ضخمة على المؤتمرين، فهل تساعد الأمم المتحدة على ذلك؟

فقال: لم يسبق أن قدمنا أية مساعدة لحكومة جيبوتي، لأنها كانت لا تحب ذلك في الماضي، أما الآن وقد اتضح لها عبء النفقات، فإنه تريد المساعدة.

فقلت له: هل قدمتم لها شيئاً من المساعدة التي تريدها الآن كما ذكرتم؟

فقال: لا، ولكننا نسعى في مساعدتها.

ونحن نسعى الآن في كيفية مساعدة الأمم المتحدة للصوماليين بعد أن يتمكنوا من تأليف الحكومة الخاصة بهم، وأهم ذلك أن نسعى في المساعدة على تأليف قوة من الشرطة (بوليس)، تتولى حفظ الأمن في البلاد.

فقلت له: إن الصومال عضو في هيئة الأمم المتحدة، ولذلك اعتقد أنه يجب على المنظمة أن تساعدها على إعادة الحكومة إليها، وأن تقدم لها مساعدات اقتصادية مجزية، ثم إن الحالة الحاضرة في الصومال من الفوضى والاقتتال تهدد السلم والاطمئنان في المنطقة، وواجب الأمم المتحدة - كما نفهمه - أن تفعل ما يضمن السلم والاستقرار، لأن ذلك جزء من الأمن والسلام العالمي.

فقال: هذا صحيح.

ثم ودعناه وانصرفنا.

حديثي إلى المؤتمر:

تقرر أن يعقد مؤتمر السلام والمصالحة الصومالي جلسته ظهر اليوم، وأن أتحدث فيها.

فخرجنا بصحبة وزير الشؤون الدينية الشيخ (موجي درر سمتر) إلى بلدة (عرتة) مقر المؤتمر في الساعة الحادية عشرة والنصف، ووجدنا المؤتمر في حالة انعقاد، وقد استقبلنا فيه جمع من الجيبوتيين والصوماليين، على رأسهم مستشار رئيس الجمهورية السفير (آدم شيخ حسن)، وكبار من كبار الصومال.

وكان الشيخ عمر الفاروق الذي يعتبر من أكابر علماء الصومال في الوقت الحاضر، أو هو أكبرهم، يتكلم في المؤتمر،

فلما رآني قال في المكبر: إذا حضر الماء بطل التيمم، وذلك أنه أحد المتخرجين من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ثم ألقى بكلمات إلى المؤتمرين، أثنى فيها عليَّ ثناءً عاطراً، لا أعتقد أنني أستحقه، ثم انسحب من المكبر، وهنا مباشرة تقدم أحد الخطباء قائلاً: إن فلاناً الذي قدم من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، من أجل التحدث إليكم، والإطلاع على ما يجري في المؤتمر، وذلك نابع من اهتمامه الشخصي بالقضايا الإسلامية.



المؤلف يتحدث في مؤتمر السلام الصومالي

ثم ذكر ملخصاً لترجمتي وأعمالي، وطوافي في العالم، والمؤلفات التي كتبتها عن أحوال المسلمين.

ثم ألقيت كلمة رابطة العالم الإسلامي التي كنت قد أعددتها وكتبتها من قبل، وذلك من أجل سهولة ترجمتها ونشرها

بنصها لمن يريد ذلك، بخلاف ما إذا كنت جريت على عادتي في ارتجال الكلام، وعدم الكلام من ورقة، فإن النص يحتاج إلى استخراجه من السجل الذي ربما لا يكون فنياً، وربما يحصل له خراب.

وقد ترجم كلمتي إلى الصومالية الوزير (موجي درر سمتر) وزير الأوقاف والشؤون الدينية الذي قال لي: إنهم يعرفون العربية، ولكن بعض زعماء القبائل قد تفوتهم كلمات وتعبيرات عربية، لذا أردت ترجمتها، وكانت ترجمة جيدة، فهو عالم مؤلف بالعربية كما سبق ذكره وهذا نصها:

أيها الإخوة الصوماليون الأشقاء، المجتمعون في جيبوتي.

نحييكم من جوار الكعبة المشرفة، من مهابط الوحي، ومنطلق الرسالة المحمدية، من رابطة العالم الإسلامي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أيها الإخوة: إننا وسائر المسلمين في العالم نتابع ما تقومون به الآن، وما ترسمونه من خطط لكشف الغمة عن الصومال العزيز، حتى يعود بلداً موحداً مسالماً، لا تراق فيه نقطة دم إلا بحق، ولا يضام فيه ضعيف ولا صغير.

إن الصومال كان أمل المسلمين في تقوية الإسلام، والعمل به في هذا القسم من شرق إفريقية، ولئن طمست الأحداث المؤسفة في

السنين الأخيرة ذلك، أو حاولت أن تطمسه، فإن وعي الإخوة الصوماليين الذي لمسناه هنا هو الأمل بعد الله في جلاء الغمة، وتنفيس الكربة، والبدء في عودة الصومال إلى الحالة المرجوة.



الوزير موجي درر سمتر يترجم للمؤلف (عن يمينه)

إن الشعب الصومالي مسلم عريق في إسلامه، والإسلام ينهى عن أن يقتل المسلم أخاه المسلم، ويحرم دمه وماله وعرضه على أخيه المسلم كما قال الرسول ﷺ في حجة الوداع: (**إنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وأعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في بَلَدِكُم هَذَا في شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكَمْ تَبارَكَ وتَعَالَى فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ فَلاَ تَرْجِعُوْا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبْ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**)، أي: يقتلونهم، وكان ﷺ يتكلم في يوم عرفة.

كما أن الإسلام ينهى عن كل ما يفسد الأرض، بل يأمر باستصلاحها واستغلالها لمصلحة الإنسان.

أيها الإخوة في الإسلام: إن كل مسلم يجب عليه الرجوع إلى الحق، وترك ما ينافي ذلك، وقد أمركم الله تعالى بأن تعتصموا جميعاً بحبله، وهو اتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران ١٠٣].

بل إن الإسلام نهى عن التنازع، وبين أنه من أسباب الفشل وعدم النجاح، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال ٤٦].

أيها الإخوة الصوماليون المجتمعون في جيبوتي، أيها الإخوة في أنحاء الصومال كله:

إن الحالة المزرية التي وصلت إليها البلاد، لا يقتصر ضررها على الجيل الحاضر، بل يتعدى ذلك إلى الأجيال القادمة، فمن منكم يرضى بأن يكون مسؤولاً عن سوء حالة الأجيال المقبلة في الصومال!

لذا يجب أن يسود السلام والاطمئنان جميع أرجاء الصومال.

وقد حث القرآن الكريم على السلام فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة ٢٠٨].

فكيف إذا كان السلام المطلوب هو سلاماً مع الأهل والأقارب!

وإياكم والتعصب للقبيلة والعشيرة، لأن الإسلام دين سماوي بعيد عن التعصب للقبيلة وغيرها، ولا يقيم وزناً إلا للعمل الصالح.

وقد شاهدتم كيف أوصل التعصب بعض الصوماليين إلى هذه الحالة المزرية التي جعلت الصومال مضرب المثل في التفرق والاختلاف بين الأمم.

إنكم كلكم صوماليون وأقارب وأبناء عم، وحتى مواطنوكم كلهم هم أخوة في الإسلام فنرجو أن تحققوا قول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [الحجرات ٩].

وإننا نشكر فخامة رئيس الجمهورية الجيبوتية، الرئيس إسماعيل عمر جيلي، وكافة معاونيه من الوزراء والمستشارين على جهودهم في حشد هذا المؤتمر ورعايته والإنفاق عليه.

وإن رابطة العالم الإسلامي مستعدة لمؤازرة كل جهد منكم بنّاء، يعيد للبلاد تضامنها واستقرارها، وإننا باسم الشعوب الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم التي تشترك في مجالس

الرابطة، وتتعاون معها، نهيب بكم لكي تبذلوا جهدكم، وتتغلبوا على أسباب الخلاف والنزاع بينكم.

وفقكم الله، وسدد خطاكم، ونفع بكم، وأقر عيون المسلمين في العالم كله بما تنجزون وتعملون من خير كثير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقد زدت عليها بكلمات مرتجلة، منها شكر رئيس جمهورية جيبوتي وحكومتها وشعبها الذي بلغنا أنه تبرع من رواتب أفراده للإنفاق على المؤتمر، وقلت: إن الأعمال المجيدة قد قمتم بها في الحقيقة نيابة عن المسلمين كلهم الذين يجب أن يقوموا بها.

وقلت مخاطباً المؤتمرين: أيها الإخوة الصوماليون، إن هذه فرصة ثمينة، ربما تكون الأخيرة للخروج من هذه المحنة التي يرزح تحتها الشعب الصومالي، لذا يجب عليكم ألا تدعوها تفوت، وثقوا أن من لا يبذل جهداً في إنجاح هذا المؤتمر، فإنه سوف يكون مسؤولاً أمام الله، وأمام الشعب الصومالي الذي سيعرف ذلك، ويحاسب المقصر على تقصيره ولو بعد حين.

وقلت: أرجو أن يتصور كل واحد منكم كيف يواجه الشعب الصومالي، وكيف يواجه الشعوب المسلمة كلها التي تتابع أعمالكم، وتنظر إلى ما تعملونه هنا، ولتذكروا قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة ١٠٥].

ثم قلت: إن من الطبيعي أن يلحق المرض بجسم الإنسان، ولكن من غير الطبيعي أن يهمل مرضه ولا يعالج، ووطنكم الصومالي مريض الآن، وعلاج مرضه بأيديكم، وليس من الطبيعي ألا تبذلوا جهدكم في علاجه حتى الشفاء من مرضه.

وقد صفقوا طويلاً وبصفة متكررة لكثير من مقاطع كلامي، فكانوا يصفقون وأنا أتكلم بالعربية، لأن قسماً كبيراً منهم ربما يكون النصف يفهمون كلامي بالعربية تماماً، ثم يصفق الذين يسمعون ترجمته ممن لا يستطيعون متابعة كلامي بالعربية الفصحى.

وبعد انتهاء كلمتي، أقبلوا جميعاً يصافحون ويعانقون ويشكرون.

والتقط الرفاق لنا معهم صوراً تذكارية، وكذلك المصورون الحاضرون، التقطوا كثيراً من الصور التي يريدون أن يبيعوها على من يشاء منهم فيما بعد.

وقد قال لي كثير من الحاضرين: إن كلمتك كانت مؤثرة ومعبرة عن الحالة المحزنة، وما يراه المسلمون لحلها، وأثنوا من صوماليين وجيبوتيين على ما جاء فيها.

ثم عدنا إلى الفندق، وتناولنا فيه الغداء الذي أعده لنا مدير مكتب هيئة الإغاثة حسب طلب الإخوة المرافقين لي في الغرفة،

لأنه أحب إليهم من طعام الفندق الذي هو غالٍ وغير محبب إليهم، لأنه يقدم على الطريقة الإفرنجية.



صورة تذكارية في خيمة المؤتمر الصومالي للسلام والمصالحة

مغادرة جيبوتي:

زارنا جمع من الإخوة الصوماليين من مثقفين ومشايخ في الفندق، وكنا ذكرنا للمسؤولين في الفندق أن رحلتنا تقلع في العاشرة، وأننا نود أن نبقى في غرفنا حتى الثامنة مساءً، فذكروا أن صاحب الفندق أخبرهم أنه لا مانع من بقائنا في غرفنا طيلة هذه المدة مجاناً.

لذلك دفعنا الأجرة للأيام الخمسة التي أقمنا بها في الفندق بمعدل (٦٥) دولاراً للغرفة الواحدة المنفردة، و(١٤٦) دولاراً للجناح الذي أقمت فيه.

وقبل إقلاع الطائرة بوقت كافٍ تقدمنا أحد الموظفين، ومعه الأمتعة والتذاكر والجوازات إلى المطار، حيث أنهى كل ذلك بسرعة، ثم خرجنا من الفندق مع موكب من الإخوة المودعين، منهم القائم بالأعمال في سفارة بلادنا الأخ عبد الملك فضيل، والملحق الديني بالسفارة الشيخ فهيد البرقي، وعدد من موظفي مكتب هيئة الإغاثة، وجلسنا في قاعة كبار الزوار جلسة قصيرة، ثم ودعناهم، وركبنا طائرة الخطوط الجوية الفرنسية (إيرفرانس)، فأقلعت إلى مدينة جدة في العاشرة والثلث ليلاً.

ومن جدة توجهت مع سائق سيارتي إلى بيتي في مكة المكرمة مباشرة ولله الحمد.

هذا وقد استمرت أعمال مؤتمر السلام للصومال فترة طويلة جداً بعد مغادرتنا، تحمل الإخوة الجيبوتيون نفقات كثيرة، بل هائلة، ولكنهم سروا كما سررنا بالنتيجة التي انتهى إليها، وهو تأليف حكومة مؤقتة برئاسة (عبده قاسم صلاد حسن)، وباشرت أعمالها كما هو معروف، ومعروف أيضاً أن بعض المنتفعين من استمرار الفوضى في الصومال عارضوا تلك الحكومة.

الفهرس